الأمير الزياري "عنصر المعالي كيكاوس" وكتابه قابوسنامه
(قراءة تاريخية تحليلية)

د. صلاح الدين علي عاشور (*)

مقدمـــــــة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وبعد...

فقد خلّف لنا أسلافنا تراثا ضخما، وكنزا ثمينا من العلوم العربية والإسلامية، جدير بالإجلال والإكبار. ومن هذا التراث الخالد كتاب "قابوسنامه" لصاحبه الأمير الزيارى "عنصر المعالى كيكاوس" وهو من الكتب التى شهرت في التاريخ الفارسى باسم "كتب النصائح"، والتى تزخر بالروائع الفكرية الشامخة التى تقف مرفوعة الهامة أمام روائع الآداب الإسلامية.

ولما كانت قيمة أي عمل علمى مرهونة ــ إلى حد كبير ــ بما يضيفه إلى الفرع الذى ينتسب إليه من إثراء، كلما كان الإسهام في تنمية مباحثه، وكشف غوامضه، عملا جديرا بالبحث والتنقيب، لاسيما وأن "عنصر المعالى" من القلائل الذين تركوا الحياة بعد أن خلّفوا لنا أثراً خلّد ذكراه، بعدما أحسن في تمثيل عصره، وأظهر ما كانوا يتعاطونه من فنون المعرفة، وما كانوا يدعون.

ولاشك أن لكل كتاب منهجاً، ولكل مصنف معلماً، ومنهجاً يختص به، وإن شاركه غيره في بابه، فكتب النصائح كثيرة، ولكن لا تكمل الاستفادة منها إلا بالوقوف على أفكار مصنفيها باعتصار دخائلها حتى تفصح عن كنه جوهرها. وكتاب هذه شهرته جدير بأن نتعرف منهجه لنقف على شهرة صاحبه، وحقيقة المادة التاريخية القابعة بين دفتيه، وبهذا نجلى تراثا غرسه الأولون كدّا واجتهادا، وتعهده من بعدهم لحفظه وتنميته.

وقد حاولت أن أدرس حياة هذا الرجل بمقدار ما أمدتني به المصادر، وما أسعفتني به تراجمه، وهي قصيرة بوجه عام، جعلت من الصعب التوسع في تفاصيل تعطينا صورة وافية عن حياته، ولكن من خلال استقراء ما ورد في كتابه، وبعض أقواله وأرائه، وحال العصر الذى عاش فيه، أمكن الوصول إلى ما يشبه الحقيقة من شأنه، ولذلك عنيت بشرح أفكاره ونصائحه وأمانيه، وحاولت الوقوف عند بعض النصوص كلما استطعت.

(*) أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي بجامعة الأزهر.

وقد بهرني من الرجل أنه كان مثلا بليغا لنبل الخلق، فلم تورثه مكانته السياسية زهوا ولا غرورا، لذلك لا نلمس في كتابه ما يشير إلى شيء من الفخر والكبرياء.

والمتصفح لكتاب "قابوسنامه" يتبيّن أن صاحبه قد هاله انحراف ابنه عن الدين، وعدم النظر في أخبار الرسول وصحابته، فأخذ ينكر عليه تلك النزعة البشرية اللاهية، فأخذ يعرض عليه نماذج خلقية رفيعة، ليعلمه آداب المعاشرة والسلوك والتقاليد، وكسب الفضائل وتهذيب الخصال، وكيف يعيش ويحكم، وتجلّت تلك النصائح من خلال القصص التاريخية التى يستشهد بها في حكاياته، ويمكن اعتباره واحدا من الكتب ذات الأطروحات الأخلاقية.

وهكذا نرى الكتاب متنوع المعارف، لا يستغنى عنه من غشى مجالس أهل العلم، ولعل اسم النصيحة يشير في غير خفاء إلى ما يضمه الكتاب بين دفتيه من كل ما من شأنه أن يثقف العقل، ويهذب النفس، ويكوّن الرجل المستنير.

وقد استمد "عنصر المعالى" مادة الكتاب من مصادر متعددة أشار إليها في مواطن متعددة من كتابه، والتى يبدو فيها رجلاً واسع الأفق لا يستنكف أن يلتقط الجوهرة من الوحل ــ كما يقال ــ فلا يضيره أن يأخذ عن الحديث سنا لحداثته، ولا عن الصغير قدرا لخساسته، ولا عن الأمة الوعكاء لجهلها. والكتاب بصفة عامة يعد دستورا وضعه "عنصر المعالى" في تهذيب ابنه "كيلانشاه" ونصحه، ليكون نبراسا له، يرده أنى شاء إلى آفاق الإصلاح، لاسيما بعدما خوى نجم الخير وكسدت سوق البر، وبارت بضائع أهله، وصارت التقوى عارا على صاحبها، والفضل نقصا، وتكالب الناس على شهوات النفوس.

وإذا كان لنا أن نرد الفضل إلى ذويه؛ يجب علينا ألا نغفل اقتداء "عنصر المعالى" بنصائح النبى "لقمان" لابنه، وما ورد في السياق القرآني، وكذلك الأعمال الفارسية الخالدة مثل: "شهنامة" الفردوسي، و"رسالة الصحابة" لابن المقفع، التى كانت بمثابة منتجع لكل قاصد من المفكرين والعلماء الذين شادوا عليها مؤلفاتهم، حتى أوصلها هو إلى ذروتها.

وقد زادني إقبالاً على دراسة هذا الرجل أنه لم يأخذ حظه من عناية الباحثين، فوجدته جديراً بالدرس الواعي المتئد، ورأيت أن اكتب عنه دراسة مستقلة، بلا جنوح إلى الغلو، ولا إلى التقصير، وهي أيضا دراسة تعني باستقامة المنهج، والبعد عن الميل والانحراف في تناول الحدث التاريخي.

وعلى كل حال؛ فالدراسة تهدف إلى الغوص في شخصية الأمير "عنصر المعالى" وتحليل مادته التاريخية التي حواها كتابه "قابوسنامة"، مع تقديم فكر صاحبه على نحو أكثر رؤية وتفصيلا، والتعقيب على أفكار الكتاب من خلال استعراض بعض نصوصه، لنستبيّن خصائصه ومميزاته، فضلا عن مدي قدرة الدراسة على منحنا الحقيقة التاريخية الصادقة.

ومن الله أرجو التوفيق والسداد، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عصر المؤلف ومعطياته السياسية والثقافية والاجتماعية

تميز عصر الأمير "عنصر المعالى" بخصائص ومعطيات عديدة، تجلت في كافة جوانب الحياة، ولما كان المفكر ابن عصره، ونتاجاً من نتاجه، يتأثر به سلبا أو إيجابا، وجب علىّ كشف وتوضيح لروح العصر الذى عاش فيه، لأن ذلك يعيننا على تفهم العوامل المختلفة التى صبغت عصر المؤلف بألوان خاصة، وضحت من خلال تجلياته الفكرية، وأرائه التربوية والأخلاقية، والتى تبدت في بيئته السياسية، والجغرافية، والثقافية، والاجتماعية.

أولا ـ المعطيات السياسية:

الدولة الزيارية هى إحدى الأسر التى استقلت بجزء من أراضى الدولة العباسية في شرق الدولة الإسلامية[٢]. وتنسب هذه الأسرة الزيارية إلى رجل ديلمى يدعى "مرداويج بن زيار"، الذى بدأ نجمه في الظهور حينما التحق بخدمة الأئمة العلويين في طبرستان[٣]، لاسيما بعد أن اعتنق هؤلاء الديالمة الإسلام، عقب دخول الحسن بن علي العلوي الملقب بـ "الأطروش"[٤] بلاد الديلم[٥] في حدود سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م) وأقام فيها نحو ثلاث عشرة سنة يدعو الديلم إلى ترك المجوسية واعتناق الإسلام، حتى كسبهم إلى جانبه، ثم دعاهم للخروج معه إلى طبرستان سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) فسيطر عليها منتزعا إياها من السامانيين[٦].

ولما مات الحسن بن علي الأطروش تنازع القادة، وهم: "ماكان بن كالى" و"ليلى بن النعمان" و"أسفار بن شيرويه" و"مرداويج بن زيار" (وكلهم من الديلم) على إمارة الجيش[٧]، ولاسيما بعد أن قام "الحسن بن القاسم" (خليفة الأطروش) بتصفية سبعة من قادة الديلم (لشكه في نواياهم تجاهه) مما حمل الباقين على الفرار، وتشكيل جيوش خاصة بهم[٨].

وقد عرف هؤلاء الديالمة بروح المغامرة العسكرية، فأخذوا يتطلعون إلى احتلال مناصب عسكرية لهم في ظل الإمارة العلوية التى كانت تحتضر آنذاك[٩].

ولما قتل "ليلى بن النعمان" الديلمى (وهو أشهرهم) وهو يقود جيش الديالمة ضد الإمارة السامانية، تولى مكانه "ماكان بن كالى" القيادة، ولكن أحد قواد "ماكان" ويدعى "أسفار بن شيرويه" خرج عليه، وتعاون مع قائد أخر وهو "مرداويج" فأحرز نصرا مؤزرا ضد "ماكان"[١٠]. ولكن سرعان ما وثب مرداويج على "أسفار" وقتله عام (٣١٦هـ/٩٢٨م) وملك البلاد، مؤسسا لأسرته إمارة في "جرجان"[١١] و "طبرستان" و "همذان" [١٢] وأصفهان"[١٣] جنوبي "بحر قزوين" أو ما يسمى "بحر الخزر"، وحاكما هذه البلاد باسم الخليفة العباسى[١٤]. وكانت الثغرة الأساسية في حكم "مرداويج بن زيار" أن الجيش الزياري كان يتكون من عدة عناصر رئيسية، منها: الجيل، والديلم، والأتراك، والأكراد. وكان من تعدد عناصر الجيش واختلاف كل عنصر عن الآخر في اللغة، والوطن، وتفضيل بعض العناصر على الأخرى، أثر واضح في قيام بعض النزاعات الداخلية، حيث فضل "مرداويج" عنصري الديلم والجيل على غيرهم، مما أدي في النهاية إلي قتله على يد غلمانه الأتراك [١٥].

وبعد مقتل "مرداويج" أخذ شأنهم يعظم لاسيما في عهد أخيه، وخليفته "وشمكير بن زيار" (٣٢٣ـ٣٥٦هـ/٩٣٤ـ٩٦٦م) ويقال إنه ركب فرسا وشبّ وهو غافل عنه، فسقط

ميتا[١٦]. فخلفه ابنه "قابوس بن وشمكير" (٣٥٦ـ٤٠٣هـ/٩٦٦ـ١٠١٢م) وكان كاتبا وشاعرا[١٧]. وفي عهده تعرض سلطان الزياريين إلى خطر شديد، عندما علا شأن الأمراء البويهيين الذين تطلعوا إلى أملاك الزياريين، حتى انحصر ملك بنى زيار في "جرجان" وطبرستان".

وفي أيام "قابوس بن وشمكير" أغار "عضد الدولة" البويهي على أملاك الزياريين سنة (٣٧١هـ/٩٨١م) وانتزعها من يد قابوس، ولكن قابوس عاد واستردها سنة (٣٨٨هـ/٩٩٨م) بمساعدة السامانيين[١٨]، ووسع من ملكه حتى إنه ضم بلاد "جيلان" (كيلان).

ولم يلبث "قابوس" أن عتا وتجبر في أواخر إمارته، فأجمعت حاشيته على خلعه، وأجبرت ابنه "منوجهر" (٤٠٣ـ٤٢٦هـ/١٠١٢ـ١٠٣٤م) أن ينزل علي إرادتها، وحبس قابوس في إحدى القلاع حتى مات من شدة البرد[١٩].

وقد ازدحمت السنوات التي أعقبت وفاة " قابوس بن وشمكير" بالاضطرابات بين أبناء البيت الزياري، من أجل الوصول إلي سدة الحكم.

والواقع أن عصر"قابوس" كان بمثابة حد فاصل بين عصرين: عصر القوة، وعصر الضعف والتفكك، فهذا "منوجهر بن قابوس" يسارع إلي توطيد علاقاته بالسلطان "محمود الغزنوي" ويعقد معه معاهدة صلح ذليلة استرضاءً للغزنويين[٢٠] فأتاحت فرصة التدخل في شؤون الإمارة الزيارية، وفرض هيمنتهم عليها، فضاع استقلالها وسط هذا الزخم من التنازلات، والتي أدت بها في النهاية إلي الضعف ثم الانهيار[٢١]. ولم يلبث أن توفي"منوجهر" فخلفه ابنه "أنوشروان" (٤٢٦ـ٤٣٠هـ/١٠٣٤ـ١٠٣٨م) الذى استمر في حكم بلاده مواليا للغزنويين[٢٢]. وكانت أمواج السلاجقة[٢٣] قد بدأت في مدّها، ولم يستطع أحد وقفها، فاستولوا على جرجان، وطبرستان سنة (٤٣٣هـ/١٠٤١م) من يد " أنوشروان" الزيارى الذى لم يحرك ساكنا أمام جحافل القوات السلجوقية الفتية [٢٤].

ومنذ ذلك التاريخ؛ ظل الأمراء الزياريين يحكمون بتفويض من السلاجقة، ويقال إن آخر أمراء هذه الأسرة، وهو "كيلان شاد بن عنصر المعالى كيكاوس" (ابن صاحب قابوسنامه) الذى انحصر حكمه في مدينة "جيلان" حتى خلعة السلطان "ملك شاه بن ألب أرسلان"[٢٥]، ثم لم يلبث أن توفي سنة (٤٧١هـ/١٠٧٨م)، وبوفاته انقضت الأسرة الزيارية كأن لم تكن شيئا مذكورا.

ثانيا ـ المعطيات الجغرافية:

إذا كان يقال إن الإنسان ابن بيئته، فمن الجائز أن يقال أيضا إنها أبوه، ولا تصدق هذه المقولة بشقيها على أحد بقدر ما تصدق على "عنصر المعالى" الأديب الفليسوف، فهو ابن للظروف الاجتماعية، والسياسية، والعقلية، والجغرافية، التى حكمت بيئته وعصره، التى لم يستطع أن يكون بمنأى عنها، فقد كان لها بالغ الأثر في تشكيل نفسه وتكوين شخصيته، وظهر ذلك جليا من خلال كتابه "قابوسنامه" ومن خلال القضايا التى تناولها في نصائحه.

وتعتبر منطقة الديلم (أو بلاد جيلان) هى الموطن الأصلي للزياريين[٢٦]، ويصفها ياقوت الحموي بقوله[٢٧]: "بلاد واسعة يشملها هذا الاسم" ومن أشهر مدنها "طبرستان" والتى تعرف أيضا بـ"مازندران"[٢٨].

وقضى عنصر المعالى عمره في مدينة طبرستان التى شهرت ــ على مر التاريخ ــ بمنعتها وقوة شكيمة أهلها وحصانة موقعها الجغرافي الذى جعل منها دائما حجر عثرة أمام القوات الإسلامية في عصري الأمويين والعباسيين، من أجل إقرار نفوذهم هناك[٢٩]، وظل الأمر على هذا الحال حتى استولى عليها "حسن بن زيد العلوي" المعروف بالداعى الكبير سنة (٢٥٠هـ/٨٦٤م) وطرد منها عمال الخلفاء العباسيين[٣٠].

وشهرت طبرستان بطبيعتها الساحرة، وخصب أراضيها، ووفرة مياهها، وكثرة ثمارها وخيراتها، وصناعتها الزاهرة، ومدنها العامرة، وتجارتها الواسعة[٣١].

ويصف ابن أسفنديار[٣٢] طبيعة طبرستان بقوله: "مناخها معتدل، وشتاؤها خريف، وصيفها ربيع، وكل أرضها رياض وحدائق، لا تقع العين فيها إلا على الخضرة، ومدنها وقراها متصلة بعضها ببعض، وهواؤها معتدل لطيف..."

كل هذا الرخاء جعل من طبرستان موطنا لأهل العلم والفضل. والثعالبي[٣٣] الذى كان يحمل إجلالا عميقا لتلك المدينة جعله يخصها بفصل في يتيمته بعنوان: "فصل في ذكر شعراء طبرستان" يذكر فيه "قابوس بن وشمكير" جد مؤلف قبوسنامه.

كما أن صاحب كتاب "تاريخ طبرستان"[٣٤] نراه يتحدث عن أهل العلم والفضل من شعراء وكتاب وزهاد وأطباء وحكماء، مع ذكر أسماء الكثير منهم ونبذا من سيرهم وأخبارهم.

و"جرجان" مدينة شهيرة وصفها ياقوت[٣٥] بقوله: "مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، وهى أكبر مدينة بنواحيها، وهى أقل ندى ومطرا من طبرستان، وأهلها أحسن وقارا، وأكثر مروءة ويسارا،... وخرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين، ولها تاريخ ألفه حمزة بن يزيد السهمى..." حتى وصفها البعض بأنها جنة الدنيا[٣٦].

ولاشك أن هذه البيئة كان لها أكبر الأثر في ظهور كثير من الأفذاذ الذين لا يشق لهم غبار في الفكر، والثقافة، واللغة، بل وفي كل فن من فنون المعرفة. وكان الأمير "عنصر المعالى" رائدا من الرواد الذين ولجوا أبوابها، بعد أن وجد الأرض ممهدة، والزرع مخضرا، والشجرة المورقة بدأت تؤتى ثمارها حلوة المذاق. وبالرغم من تربعه على كرسي الإمارة، إلا أنه ناله من علو المكانة، ورفعة الشأن الكثير؛ لأنه كرس حياته للدرس والتحصيل، والتزود بالعلم.

كل هذه العوامل ساعدت الرجل على ظهوره كشخصية عبقرية قوية، استطاعت أن توفق بين العلم والعمل، وتكون فكره وثقافته، وهو ما ظهر جليا في مؤلفه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثالثا ـ المعطيات الثقافية:

ورث القرن الخامس الهجرى جهود أربعة قرون بذلها العلماء في الدرس والتحصيل والإنتاج، وتعددت ينابيع الثقافة بين عربية خالصة، تتمثل في الكتب التى ترجمت عن اليونانية والفارسية والهندية، وثقافة تجمع بينهما في إنتاج هؤلاء الذين جمعوا بين الثقافتين. كما ورث المذاهب الدينية والعقيدية: من أهل سنة يتخذون القرآن الكريم والسنة النبوية إماما لهم، ومعتزلة يحكمون العقل في مسائل العقيدة، وأشاعرة يحاولون أن يوفقوا بين السنة والعقل، وروافض. وكثيرا ما كان يحتدم النزاع بين المعتنقين لهذه المذاهب.

وإذا كان تاريخ تلك الفترة مصبوغاً بالدماء، إلا أن كثيرا من العلماء رأى أن الحياة الهادئة إنما تكون في ظلال العلم ؛ فأخلص لها، وعكف عليها ؛ ولذلك حفظ لنا التاريخ أسماء كثير من العلماء المخلصين في فروع العلم المختلفة في ذلك الوقت [٣٧].

وقد يبدو غريبا أن تزدهر العلوم والآداب في عصر سادته الفتن والقلاقل، وغلبت عليه أحداث عصفت بالوحدة السياسية، بيد أن الوضعين السياسي والثقافي يختلفان في كثير من الأحايين، ولا يحدث انسجام بينهما، فعلى الرغم مما ساد من فوضى واضطراب سياسي، فإن الأمر كان على العكس تماما بالنسبة للحياة العلمية، إذ كان من العصور التي ازدهرت فيه العلوم، وانتشرت الثقافة [٣٨].

وكانت الدولة الزيارية قد شهدت في عهد الأمير "شمس المعالى قابوس بن وشمكير" (جد المؤلف) نشاطا ثقافيا وأدبيا واسعا، وذلك بفضل تشجيعه للعلماء والشعراء، لذا فقد كان بلاطه يزخر بالكثير منهم، هذا في الوقت الذى كان فيه قابوس شاعرا ماهرا، وكاتبا بارعا، له في النثر العربي روائع، ورسائله في البلاغة في مرتبة رسائل العرب.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى الرغم من كونه غير عربي، ولا ينحدر من أرومة عربية، إلا أنه له نظم ونثر بالعربية، ولم يكد ينظم بالفارسية إلا أبياتا معدودات، فاستحق بذلك أن يعتبر من شعراء العربية وكتابها[٣٩].

وقد أعجب مؤرخوه بعلمه وخلقه، إذ لم تمنع المعاصرة بينه وبين الثعالبى[٤٠]، أن يعترف بشدة إعجابه بقابوس، والذى كان يحمل إجلالا عميقا له، حتى يصفه بأنه كان أديب الملوك، وملك الأدباء [٤١]. ويقول في حقه في يتيمته: " أنا أختم هذا الجزء بذكر خاتم الملوك، وغرة الزمان، وينبوع العدل والإحسان، ومن جمع الله سبحانه وتعالى إلى عزه بسطة العلم، وإلى فضل الحكمة نفاذ الحكم، فأوصافه لا تدرك بالعبارات ولا تدخل تحت العرف والعادات... وآن لى أن أعمل كتابا في أخباره وسيره، وذكر خصائصه، ومآثره التى تفرد بها عن ملوك عصره..."[٤٢].

وكان الشعراء ينظمون فيه مدائح بالفارسية والعربية، إلا أنه كان يكره منهم أن ينشدوا تلك المدائح في حضرته، ويقول إنه لا يحب سماع الأكاذيب، وذلك لعلمه بأنه في حقيقته على غير ما يذكرون في مدائحهم، فهو يتحرز من أن يخدع نفسه[٤٣].

وكانت حاضرة الزيارين مرتاد الشعراء الذين تدفقوا عليها من كل فج ليشهدوا منافع لهم، و ليعرضوا ما تجود به قرائحهم من روائع النظم في قصور الأمراء والكبراء.

والذى يدعو للإعجاب، ويبين مدى إزدهار العلوم والآداب في ذلك العصر، ما كان بين الأمراء من تنافس في أن يهدى إليهم الكتاب مؤلفاتهم، وحرصهم على أن تعمر ندواتهم بالأدباء والفلاسفة. وقد امتاز هذا العصر بتقدير الأمراء لرجال الأدب، والسعى إلى إرضائهم وخطب ودهم، فقد كان كل أمير يريد أن يتفوق على أقرانه وخصومه بكثرة من يحوطه من رجال العلم والأدب.

وكان من عادة الشعراء ورجال العلم والأدب في ذلك الزمان أن يتنقلوا بين قصور الأمراء وينظموا القصائد، أو يؤلفوا الكتب، ويهدونها إلى الأمراء والحكام، فنجد "الثعالبى" يهدى كتبه إلى الأمير "قابوس بن وشمكير" في طبرستان مثل : كتاب "المبهج" والتمثل والمحاضرة" . وكذلك فعل العلامة الكبير "أبو الريحان البيروني" [٤٤] فقد انتقل إلى قصر شمس المعالى، وهنالك أهدى إليه كتابه "الآثار الباقية عن القرون الخالية".

ويذكر ياقوت[٤٥] أن شمس المعالى قابوس أراد أن يستخلصه لنفسه، ويرتبطه في داره على أن يكون له الإمرة (أى الولاية) المطاعة في جميع مايحويه ملكه، فأبى عليه ولم يطاوعه، ويقال إنه بلغ من منزلته عنده أنه أسكنه معه في داره، وأنزله معه في قصره[٤٦].

أما الأديب الكبير "بديع الزمان الهمذانى[٤٧]"، فقد اتصل بالأمير قابوس أثناء إقامته بخراسان وتبودلت بينهما الرسائل، إذ كان بديع الزمان أحد المغترفين من فضله.

وقد حفظت لنا المصادر جانبا من تلك الرسائل المتبادلة منها ما كتبه بديع الزمان إلى شمس المعالى وقد ورد حضرته: "لم تزل الآمال تعدنى هذا اليوم، ولا مطمح إلا حضرته الرفيعة، وسدته المريعة، وقد صرت بين إثبات النوائب، وتجشمت هول الموارد، وسحت أطراف المراحل، حتى حضرت الحضرة البهية أو كدت، وبلغت الأمنية أو زدت[٤٨]. والواقع أن قرض الشعر ونظمه أصبح تقليدا متبعا في ذلك العصر عند حكام ذلك الزمان فمن مشهور ما ينسب إلى قابوس من شعر :

خطرات ذكراك تستثير مودتى ... فأحس منها في الفؤاد دبيبا

لا عضو لى إلا وفيه صبابـــة ... فكأن أعضائي خلقن قلوبـــا

ويذكر صاحب كتاب "جهار مقالة"[٤٩]أن الطبيب الشهير "ابن سينا" كان يمارس مهنة الطب أثناء وجوده بجرجان على عهد الأمير قابوس بن وشمكير، حتى إن الناس بجرجان كانوا يحضرون إليه للتداوى.

وقد استطاع ابن سينا أثناء إقامته هناك أن يشفي أحد أقارب قابوس، فاستدعاه الأخير ناحيته ليعبر له عن إعجابه بمهارته، ثم استبقاه في بلاطه مكرما، وفي أثناء إقامته بجرجان انتهى ابن سينا من تأليف أجزاء عديدة من كتابه "القانون في الطب"

والواقع أن ابن سينا لم يخدم الأمير قابوس، ولم يره طيلة حياته، بل إن قابوس قد حبس وقتل قبل بلوغ ابن سينا جرجان، إذ يقول ابن سينا في ترجمته لحياته (نقلا عن القفطى،

وابن أبى أصيبعة): " ثم دعت الضرورة إلى الانتقال إلى خراسان، ومنها إلى جرجان، وكان قصدى الأمير قابوس، فاتفق في أثناء هذا القبض على قابوس وحبسه في بعض القلاع وموته هناك".

وعلى الرغم من أن بعض الأمراء الزياريين كانوا يعتقدون في علة النجوم، إلا أن "قابوس بن وشمكير" كان لا يقرب المنجمين إليه، وربما كان يطاردهم في بلاده. وتوجد لقابوس رسالة في بطلان أحكام المنجمين يقول فيها : "اعلم أن أضعف هذه العلوم هو الموسوم بأحكام النجوم، إذ هو علم معلول الأصل، مختلف الأقاويل، مدخول الفرع، مزخرف الأباطيل، ولو لم يكن الأصل واهيا لما سمته الفلاسفة فلكيا... وأما ما يزعمه أهل هذه الدعوى من أن الكواكب هى التى تأتى بالخير والشر لجميع البشر، لاختلاف حركاتها وسيرها في السماء، فباطل، لأن سبب وصول الخير والشر إلى الناس ظاهر، وذلك أنا نرى الإساءة والإحسان من فعل الإنسان "(٥٠).

وبرغم من أن "قابوس بن وشمكير" كان أديبا وشاعرا، ولا يعتقد في علم النجوم، إلا أنه نبغ في علم الفلك وعلوم الأوائل، حتى يقال إنه كتب في الأسطرلاب كتابا، أعجب به الصاحب بن عباد، وأطراها أبو إسحاق الصابى(٥١).

رابعاً - المعطيات الاجتماعية:

لاشك أن الحياة الاجتماعية مرتبطة إلى حد كبير بالحياتين السياسية والعلمية، بل إن الحياة الاجتماعية كالمرآة تنعكس عليها دائما آداب العصر، وتتفاعل معه، فيظهر لنا نتاج مترف أو خليع أو وقور أو قلق، كل ذلك نتيجة للحياة التي يحياها الشعب، والإحساسات التي تحسها الأمة.

والمعروف أن القرن الرابع الهجري هو القرن الذي انقسمت فيه الدولة الإسلامية- كما ذكرنا- إلي دويلات شبه مستقلة لكل منها أميرها ووزراؤه(٥٢) وكان أغلب الأمراء من غير العرب، فكانت لهم مجالس ذات التقاليد الخاصة المترفة(٥٣). حتى إن الخلفاء أنفسهم في بغداد قد أدخلوا ألوانا من الترف والنعيم لم يعهدها المسلمون من قبل(٥٤).

وقد ارتقى الزياريون السلطة جنودا هدفهم الإثراء، لذا كان الدور الذى لعبه قادتهم في التاريخ الإسلامي عسكريا إلى حد ما، لاسيما بعد أن اعتمدوا على بنى جلدتهم من الديلم، واستندوا بعض الشيء على جماعات من الأتراك المرتزقة الذين كان استخدامهم مألوفا آنذاك.

ويبدو أن الحياة في بلاد الديلم كانت بدائية وصعبة، إذ كانت ملابسهم فقيرة ومرقعة، وبمثل هذه الفرص المحدودة، لم يكن هناك ما يثير العجب في أن تكون الحرب ديدنا لهم(٥٥).

وشكل "الديالمة" و "الجيلاويون" الخلفية القومية للدولة الزيارية، وقد أشادت المصادر العربية والفارسية في أكثر من مناسبة بمقدرة الجندى الديلمى العالية على تحمل الصعاب، كما نوّهت بشجاعته وقدرته على المقاومة، بالمقارنة مع الجنود الأتراك، حتى إن "أبا الفضل بن العميد"(٥٦) شهد لهم بالصبر على الجوع، وقبولهم بالقليل من الطعام في حال قلته(٥٧).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد كان لاعتناق الديلم الإسلام تأثير فاعل في إطلاق قوتهم، وتحريرها خارج منطقة الديلم. ولاشك أن اختلاف عناصر المجتمع الزيارى وتباين أصوله، ودخول كثير منهم في الإسلام، أدى إلى نمو الحضارة نموا يتطلب دارية واسعة بكثير من شؤون الحياة، من هندسة وطب وفلك ونظم حكم وسياسة، ولغة وأدب، الأمر الذى انعكس بالإيجاب على الدولة الزيارية التى انتشرت فيها ثقافات مختلفة لأمم مختلفة(٥٨).

ولكن هذه الثقافات جميعا أخذت تلتقى رويدا رويدا وتمتزج بالثقافة العربية التى صبغت بالصبغة الإسلامية، وهى ما تعرف بالثقافة الإسلامية.

هذا هو العصر الذى نشأ فيه الأمير "عنصر المعالى" فلم يكن غريبا أن يبرز اسمه، ويتفوق على أقرانه، فلا يستغرب نبوغه في عصره، ولا في بيئته، بل الغريب أن يكون العصر والوطن والبيت على هذه الحالة، ثم لا يظهر فيه هذا النابغ والفيلسوف.

التعريف بالمؤلف:

لم يرد في المصادر القديمة التي وصلت إلينا حتى اليوم ذكر بالتفصيل عن حياة الأمير "عنصر المعالى" يجيب على الكثير من الأسئلة المطروحة أمام دارسيه، والغموض يكتنف الكثير من مراحل حياته، وكل ما لدينا نصوص مبعثرة في هذا المصدر أو ذاك، وما هي إلا أسطر قليلة للغاية، لا تعطينا صورة نستطيع أن نستشف منها شيئا واضحا عن حياته الأولى، ومن حسن الحظ أن المؤلف استعرض نتفا من أخباره بين ثنايا كتابه. ومؤلف الكتاب هو الأمير كيكاوس بن اسكندر بن قابوس بن وشمكير بن زيار الملقب بـ "عنصرالمعالى" الذى ينتمى إلى أسرة عريقة في النسب، فنسبه يمتد إلى سلسلة طويلة من الأجداد كل واحد منهم له مكانته وشأنه، وزعامته المهيبة (٥٩).

ومن خلال النصوص التى وردت إلينا من كتابه؛ نستطيع أن نتلمس بعض الأشياء عن تاريخ حياته تلقى الضوء على بعض مما خفي علينا عن ميوله واتجاهاته، وتكوينه العلمي، منها ما ورد في مقدمة الكتاب حينما كان يخاطب ابنه "كيلانشاه"، ويفتخر بأجداده الزياريين الكبار بقوله :"وقد كان أجدادك دائما ملوك الدنيا، وكان جدك الأعلى الملك شمس المعالى قابوس بن وشمكير حفيد أرغش فرهادان... وكان له ملك كيلان...وجدتك أمى كانت بنت الأمير مرزبان بن رستم بن شروين مصنف "مرزبان نامه" وجدها الثالث عشر كايوس بن قباذ كان أخا أنوشيروان العادل. وأمك ابنة الملك الغازي محمود بن ناصر الدين، وكان جدى حسن فيرزان ملك الديلم، فكن فطنا، واعرف قدر أصلك..."(٦٠).

وهو الملك الزياري السابع الذي حكم في كيلان (جيلان) ما بين عامي (٤٤١-٤٦٢هـ/١٠٤٩-١٠٦٩م) وكان هذا الأمير على صلة كبيرة بالأسرة الغزنوية، حيث تزوج ابنة السلطان محمود الغزنوي. كما توجه إلى الهند في صحبة السلطان مسعود الغزنوي أثناء حملاته لنشر الإسلام هناك، ولذا فقد ذكر المؤلف في كتابه أنه شارك في الجهاد من أجل نشر الإسلام في كل من الهند وجورجيا وأرمينية، ولعل مشاركته في نشر الإسلام في كل من

جورجيا وأرمينية كانت أثناء توليه الحكم في كوهستان، وبعد أن تخلي عن مصاحبة الغزنويين في الهند، فقد قيل بأنه ظل مقيماً في الهند، بعد وفاة السلطان مسعود الغزنوي، مدة ثماني سنوات كان خلالها نديماً للسلطان مودود بن مسعود(٦١).

وعلى كل حال فالأخبار المتوافرة لدينا والمتعلقة بحياة المؤلف، وفترة حكمه، ضئيلة للغاية في كتب التاريخ، كما أنه لم يشأ أن يذكر الكثير عن أخباره في كتابه قابوسنامه، بل إن أغلب المؤرخين يعرفونه بأنه مؤلف "قابوسنامه" أكثر من تعريفهم إياه بأنه كان حاكمًا وملكا، ووسط هذا الغموض لم نعرف عنه إلا القليل النادر(٦٢).

ويجمع مؤرخوه أنه توفى سنة (٤٦٢هـ/١٠٦٩م) وله من العمر ثلاثة وستون عاما، وأن ابنه "كيلانشاه" فارق الدنيا سنة (٤٧١هـ/١٠٧٨م)، ومع ذلك فهناك رواية وردت ضمن فصول كتابه وهو الباب (الرابع والأربعين) تقول "وبدأت هذا الكتاب سنة خمس وسبعين وأربعمائة" ولكن الحقيقة أن البداية كانت سنة (٤٥٧هـ) وليس (٤٧٥هـ) (٦٣).

ويرى البعض(٦٤)أن الناسخ قد أخطا في نقل العبارة فكتب خمس وسبعين، بدل سبع وخمسين، ويعلل ذلك بحدوثه كثيرا في حياتنا اليومية. ويرجح أيضا أن تأليف الكتاب كان بين سنتى (٤٥٧ـ٤٦٢هـ) وأنه توفي بعد الفراغ من تأليف كتابه بفترة وجيزة.

وإذا كنا لم نهتد إلى السنة التى ولد فيها الأمير "عنصر المعالى" إذ لم يتحدث مؤرخوه عن سنة وفاته، ولكن ربما كان ميلاده حوالى سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م)على اعتبار أنه توفي وله من العمر ثلاثة وستون عاما، وأنه توفى سنة (٤٦٢هـ/١٠٦٩م).

بيد أن هذا شأن المؤرخين مع أفذاذ الرجال لا يهتمون بمولدهم، لأنهم لا يعرفون ما سيكون من أمرهم بين آلاف المولودين، حتى إذا برزوا في ميادين الفكر والفن وذاع صيتهم في الآفاق، ومضوا إلى جوار ربهم عنوا بحياتهم، وأرخوا سنى وفاتهم، وكذلك كان حالهم مع عنصر المعالى. وعلى كل حال فإن الاهتمام بفكره وأدبياته أفيد وألزم من تاريخ جسده، حتى إن مؤرخيه ذكروا اسمه مقرونا باسم كتابه، فاشتهر بأنه مؤلف قابوسنامه(٦٥).

وهو الكتاب الذى وضعه في أواخر أيامه نابعا من فكره ووجدانه ؛ ليكون إماما ومرشدا ومعلما لابنه أصول الحياة وسياسة الملك، وليضع بين يديه ثمار تجارب ثلاثة وستين عاما من العلم والتعلم. وهدفه الحقيقي التأثير على عقلية ابنه كى يقبل على أفكاره، ويؤمن بها، ويعمل بمقتضاها.

ثقافتـــــه:

صمت المؤرخين مطبق حول مصادر ثقافة "عنصر المعالى"، وربما حالت الحياة الرقيقة التى كان يحياها دون التعرض في كتابه لحياته الشخصية، وذاك يدلنا على أن الرجل تثقف ثقافة ذاتية أدبية. وأغلب الظن أن ليس في حياته من غريب يذكر، وأنه طوي أيامه بين الإفادة من العلم وقراءة آثار السابقين من العلماء، وكان حبه للدرس والتحصيل يدفعه دائماً إلى الاجتهاد، وتكبد مشقة التحصيل، وتأليف كتابه القيم "قابوسنامه" اثبت فيه أنه كان كاتبا مجيدا،

وفيلسوفا بارعا. ويبدو أن العلوم التى تلقاها في ريعان حداثته ظلت راسخة في ذهنه حتى زمان نضجه، والدليل على ذلك أنه لما بدأ بتأليف كتابه كان قد تجاوز الخمسين من عمره ــ كما يعترف هو في كتابه ــ وكان يكتب بلا كتاب يحضره، ولا أصل يرجع إليه، بل كان يستحضر وعن ظهر قلب ما كان قد تلقاه من الثقافة منذ صباه، لاسيما وأن والده كان يجلب إليه المعلمين الذين مهدوا له طريق المعرفة بشتى ألوانها، فضلا عن تجاربه لشخصية التى أشار أليها في مواطن متعددة من كتابه.

وكان الأمير "عنصر المعالى" مولعا بتحصيل العلم على اختلاف ألوانه، وكان منهوما بالمعارف نهما شديدا، ومن حسن الحظ أن مؤلفه حوى الكثير من سماته الشخصية، وذلك من خلال النصائح التى جاءت في كتابه "قابوسنامة"، حيث تعرفنا على بعض تفاصيل حياة المؤلف المعرفية التى لم يرد ذكرها في كتب التاريخ، منها بأنه تعلم الفروسية والسباحة والرمى بالقوس في سن مبكرة بأمر من أبيه، حتى إن أباه أحضر له المعلمين لذلك الغرض[٦٦]، كما عرفنا أيضا أنه ذهب لأداء فريضة الحج زمن الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢ــ٤٦٧هـ/ ١٠٣٠ــ ١٠٧٤م)[٦٧] وهو في سن الخمسين، إذ شكلت منعطفا مهما في حياته، فرزقه الله التوبة، وأعرض عن اللهو والشراب، وغلب عليه الزهد والورع[٦٨].

وأنه إلى جانب كون "عنصر المعالي" كاتبا ذا أسلوب متميز ــ كما سنعرف عند الحديث عن كتابه ــ كان يقرض الشعر كذلك، ولكن قدرته على النظم كانت أقل بكثير من قدرته على الكتابة النثرية، ولهذا جاء شعره ركيكاً إذا ما قيس بفصاحة نثره [٦٩].

وهكذا ورث الأمير عنصر المعالى عن أسرته حب العلم والأدب فأكب على الدرس والتحصيل منذ صباه، وأقام على ذلك إلى آخر أيام حياته، ولما أحس بدنو أجله جمع ما حصل ووعى من تجاربه في الحياة وقدمه إلى ابنه وخليفته "كيلانشاه" قائلا له :"فاعرف الآن يابنى أنى ذكرت من كل علم وفن ومهنة عرفتها فصلا في كل باب، وكل ما كان من عاداتى جعلته جملة في أربعة وأربعين بابا من أجلك، واعلم أن هذه كانت دائما عادتي من وقت الشباب إلى زمن الشيخوخة، وقضيت مدة ثلاث وستين سنة من العمر بهذه السيرة وعلى هذه الوتيرة"[٧٠].

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال، هل كان الأمير "عنصر المعالى" يستحق أن يطلق عليه لفظ عالم، الذى يجمع بين علوم شتى ؟. والحق أنه يمكن اعتباره من المفكرين الواعين المثقفين، أو الفلاسفة الذين يتوخون البحث عن الحقيقة وربطها بالواقع. فالفرق بين علم العالم وعلم العامي من الناس، كما يقول أحد الباحثين[٧١]، هو أن العامة تقتصر على معاينة الأشياء، ولكن العلماء يحاولون أن يتعرفوا أسباب هذه الأشياء، وبهذا يمكن اعتباره رجلا شغوفا بالمعرفة، لا يجد لها بابا إلا ولجه.

ولكن إذا أريد بلفظة "العالم" غزارة المادة، وسعة المحصول، فهو دون ريب بعيد عن هذا، ولكن المطلع على أبواب قابوسنامه يدرك عمق تفكير صاحبه، وروعة أسلوبه، وتصدّره بين أقرانه، ومدى انعكاس قراءته التاريخية والأدبية على معطياته الثقافية، يعينه على ذلك

ذكاء قوى، وطبع سليم، ونفس قويمة تجافت عن ابتذال العامة وإسفافها، فجاء هذا العمل كمرآة صادقة للمجتمع الإسلامي، والحضارة الإسلامية، لاسيما فترة حكم الزياريين.

اسم الكتاب والهدف من تأليفه:

وكتاب قابوسنامه يعرف أحيانا باسم كتاب النصيحة، وقد أخذ الاسم الأول من اسم مؤلفه وهو قابوس معرب كيكاوس، أما الاسم الثاني فهو يتفق وطبيعة الكتاب والغرض من تأليف، وقد وردت العبارة التالية في آخر مقدمة الكتاب: "اعلم بعد ذلك يا بني أن كتاب النصيحة هذا، وهو هذا الكتاب المبارك، قد وضعته على أربعة وأربعين بابا"(٧٢).

ولهذا يرجح أن يكون الاسم القديم لهذا الكتاب هو "تصيحت نامه" (كتاب النصيحة) ولكن هذا الاسم توارى وراء اسم مؤلفه فأصبح يعرف باسم قابوسنامه(٧٣).

وقد ألف الأمير عنصر المعالي كتابه هذا ليكون بمثابة إرشاد ونصح لابنه الأمير "كيلانشاه"، يحثه فيه على التحلى بمكارم الأخلاق، وأن ينهج في حياته نهجا فاضلا، بل ويجعل من نفسه قدوة له، فقد ذكر في المقدمة شكوى الآباء من عدم امتثال الأبناء للنصح، فأراد بهذا الكتاب أن ينصح ابنه متخذًا طريق الرفق واللين والتشويق، حتى يؤثر في نفس ابنه وقلبه، لعله يمتثل لنصائحه" ومع ذلك فالكتاب يزخر بالأخبار المتصلة بالأسرة الزيارية، إذ يعتبر المصدر الوحيد الذى يقدم لنا أسبابا حقيقية عن الظروف التى عزل بسببها ثم قتل جده "قابوس بن وشمكير" وكيف قتل أيضا "وشمكير بن زيار" بطريق القضاء والقدر، حينما سقط من على ظهر حصانه، عندما كان يقوم بالصيد"

ومما يعلي من قدر الكتاب، أن جميع ما ورد به كان من واقع تجارب المؤلف وقراءاته وثقافته، وقد عرض علينا المؤلف أفكاره في خلط عجيب من الصنعة والبساطة، والشك والزهادة، والاستخفاف والعفاف، فنراه يعالج الموضوعات الأخلاقية دون أن يتعرض لناحيتها الروحية، فيكتفي ببيان فائدة الصلاح والصوم حتى يقبل القارئ عليهما لما فيهما من نفع شخصي له. ويقول في كتابه بوجوب اتباع أحكام الإسلام، لأنه لا توجد حكومة أقوى من حكومة الإسلام، وفي رآيه أن إلزام الأغنياء بتأدية فريضة الحج يعتبر من أفضل الوسائل التى يمكن بواسطتها السياحة والتجوال في أنحاء الأرض، ويختم حديثه عن المسائل الدينية بأن ينصح ابنه بعدم التعمق في بحث الاختلافات المذهبية، لأن كثرة الأسئلة بشأنها، لا تبلغ صاحبها إلا الشك والريبة(٧٤). ومن أبدع ما كتبه أيضا نصيحته التى نصحنا فيها بأن نقيس حالنا فيها بحال جارنا الفقير، لا بحال جارنا الغنى، لأننا متى فعلنا ذلك شكرنا الله على ما وهبنا إياه من نعمة، ولا نحسد الغنى على غناه وثرائه، فخرج علينا بفكر سداه النصائح، ولحمته دقة الفكر والنظر(٧٥).

ولا نعدو الحق إذا قلنا: إن الأمير "عنصر المعالى"، في كتابه هذا، كأنما فارق طفولته وشبابه، وأصبح يجنح إلى التفكير والتروي، بعدما أودع فيه صنوفا من العلوم والمعارف، من

فقه، وأدب، وتاريخ وفلسفة، وطب، وهندسة، بسط فيها أفكاره وتأملاته التى أسرف فيها إسرافا حتى بلغت أبواب كتابه أربعة وأربعين بابا، مقلدا في ذلك الكتاب والمؤرخين العظام.

محتوى الكتاب :

كتاب "قابوسنامه" هو مزيج من معارف وعلوم مختلفة ؛ فهو كتاب أقرب ما يكون إلى السياسة ونظم الحكم؛ منه إلى علمي التاريخ والاجتماع، كأنه مستودع ضخم من العلوم والمعارف السياسية والحياتية.

وحسبنا دليلا على دقة فكر ونظر الأمير "عنصر المعالى" أنه كان أبا عاقلا مجربا حكيما، نهج في تربيته ولده نهجا عمليا واقعيا، ولم يغفل ما كان جاريا في زمانه من عيوب ونقائص اجتماعية، ولم يسر وراء المثاليات النظرية التى لا تغير في واقع الأمر شيئا، فبصّر ابنه بجانبي الخير والشر من حياته، ولم يفرض عليه، قسرا، التزام طريق بعينه، بل كان يعلم أن ابنه مثل أغلب شباب عصره، يحوم حول الملذات والشهوات، فعلمه كيف يتجنبها، مذكرا له من وقت لآخر بمضار تلك الأفعال، وأن الخير كل الخير هو في الابتعاد عنها [٧٦].

ففي الباب الحادى عشر من كتابه؛ يحذر ابنه من الوقوع في ارتكاب الآثام، ولكنه يخلط وصيته لابنه بملحة لاذعة، فهو يحذره من أن شرب الخمر من الأمور المنهي عنها في الدين الإسلامي، ولكنه يؤكد لابنه أنه لم يستمع لنصحه، بقوله: "أما حديث الشراب فلا أقول تعاطى الشراب، ولا استطيع أيضا أن أقول لا تشرب، لأن الشبان لا يرجعون عن فعلهم بقول أحد، فقد قيل لى كثيرا، ولم اسمع حتى منحتنى رحمة الله التوبة بعد الخمسين"[٧٧].

وعلى الجملة يشتمل الكتاب بعد المقدمة على أربعة وأربعين باباً أو فصلاً، كل باب منها في مطلب مستقل، مطالب ترجع في معظمها إلى تيسير دفة الحكم، والحياة الخاصة بالأشراف ومن هم على صلة بهم من أهل العلم والفضل والفضيلة، فهو مزيج من الحكم والنوادر والأشعار.

ويمكن تقسيم الموضوعات التي تناولها الكتاب إلى ثمانية موضوعات هي:

في الحكم.
في الوعظ والإرشاد.
في العلوم المتصلة بفن الحياة، والحياة الاجتماعية.
في الأخلاق والتربية.
في طلب العلم وتحصيل الفضل.
في الرياضة كالفروسية.
في الأعمال والحرف، كالتجارة والطرب والفلاحة والصناعة.
في السياسة وإدارة المملكة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في وسط هذه الأبواب أو الفصول كان الكاتب يورد حكايات بلغ عددها إحدى وخمسين حكاية، ليوضح بها آراءه ونصائحه، وذلك بأسلوب سلس شيق، يدل على تفوق المؤلف في سرد الحكايات والقصص، فهى بلا شك لقاح عقول العلماء ونتاج أفكار الحكماء.

فإذا تحدث المؤلف عن حكاياته ذكر ما ورد من أقوال، وأفعال، وحكم عن الخلفاء والأمراء، والسادة، وأيضا جملة من حكماء اليونان أمثال: "فيثاغورث" و "سقراط" و"أفلاطون" و"أبقراط" و"الإسكندر الأكبر"، ومن بينهم جملة من الساسانيين ووزرائهم، أمثال: "أنوشيروان" و"بزرجمهر" و "شهربانو" بنت يزدجر الثالث التي وقعت أسيرة في أيدى العرب، وتزوجت بالحسين ؛ وكذلك طائفة من أقوال آل الرسول ﷺ، كعلي، والحسن والحسين، وذكر المؤلف من الأمويين "معاوية"، ومن العباسيين "هارون الرشيد" و "المأمون" و "المتوكل " و" القائم" كما ذكر طائفة من حكام فارس المسلمين ووزرائهم، أمثال: "عمرو بن الليث" و"السلطان محمود "و"السلطان مسعود" الغزنويين، و" أبى الفضل البلعمي" و"الصاحب بن عباد" و"أبى علي سميجور" و"طغرل بك" السلجوقي" و"أنوشتكين" و "الحسن بن الفيروزان الديلمى" و" شمس المعالى قابوس" و"شرف المعالى" وغيرهم ممن لا يبلغون مبلغ هؤلاء في الأهمية ووضوح الشخصية (٧٨).

وبذلك يستطيع القارئ في يسر وسهولة أن يتعرف على هذه الأقوال والأفعال، فضلا عن التعرف على سير الملوك وآثار السلف، ليروض نفسه على الأخذ بما فيها من سنة حسنة، وسيرة قويمة، وأدب كريم، وخلق عظيم، ويصل بها كلامه إذا حاور، وبلاغة إذا كتب. فالكتاب في مجمله مظهر راق لامتزاج الثقافات المختلفة، لاسيما في المشرق الإسلامي. وهو يدل على أن مؤلفه رجل متوقد الذهن، ثاقب الفكر، يمثل ثقافة عصره خير تمثيل(٧٩). والواقع أن لكل حكاية هدفا تهدف إليه، أو مشكلة تحل في آخرها، والمعانى التى تدور حولها الحكايات هي : "المروءة" و "الأمانة" و "حب الخير" و"الشجاعة" والشطارة والجاسوسية" و "الاحتيال" والعدالة" و"البلاغة" و"النفور من الجهل" و"ادعاء العلم" وغير ذلك من المعاني الأخلاقية والحكمية الأخرى.

ويعتمد أشخاص الحكايات في حوارهم على الفقه والمنطق والعلوم الدينية والفلسفية، وتجارب الحياة. ويجرى المؤلف خواطره وأفكاره ونظرياته على ألسنتهم بعبارات في غاية الجمال والبلاغة (٨٠). ويضع "عنصر المعالى" في كتابه دستورا في أدب الحديث ينبئ عن شيء غير قليل من الحصافة وسداد الرأي فيقول لابنه: "ولا تطيلن لسانك على من يستطيع أن يطلق عليك لسانه إذا أراد، ولا تكن أبدا ذا وجهين، وابتعد عن ذوى الوجهين، وخف من النمام، لأن ما يفتقه في ساعة لا يمكن رتقه في سنة، يقول الحكيم : أعمل بعشر خصال لتنجو من بلايا كثيرة، أولا: لا تحارب شخصا أقوى منك، ولو كنت محتشما وعظيما، ولا تلج مع من يكون حاد الطبع، ولا تصحب البخلاء، ولا تناظر الجهلاء، ولا تشرب الخمر، ولاتجالس النساء كثيرا، ولا تفش سرك لأحد حتى لا تذهب بماء كبريائك، وإذا أخذ عليك شخص عيبا، فاجتهد أن تبعده عن نفسك، ولا تحمل نفسك على التكلف، ولا تثن كثيرا على أى شخص، ولا تذمه أيضا، ولا تلتمس

الأخطاء لمن هم دونك، وأصلح من شأن أتباعك لأنهم ضياعك، فإذا عمرت ضياعك صلح شأنك، وإذا أمرت بشغل، فلا تأمر به شخصين، فقد قيل : لا يغلى القدر بشخصين، كما أن البيت لا يكنس بسيدتين' ثم استشهد ببيت شعر قاله الشاعر "الفرخى": البيت الذى فيه سيدتان، ترى فيه التراب دائما إلى الركبتين(٨١).

ويمكن تقسيم حكايات "قابوسنامه" إلى ثلاثة موضوعات هى :

١ــ حكايات عن أشخاص مجهولين.

٢ــ حكايات واقعية عن كيكاوس .

٣ــ حكايات عن أشخاص غير معروفين.

أولا ــ حكايات عن أشخاص مجهولين وهى :

رئيس بخارى والدرويش في الحج، الرجل وغلامه، الرجل الشيخ ، الخياط والجرة، الطراز وعابر السبيل، الشيخ والشاب، التاجر والبياع، صاحب القطيع والراعى، الملك والوزير المعزول، حكايات عن المتصوفين.

ثانيا ــ حكايات واقعية عن كيكاوس وهى :

كيكاوس وأبى الأسود، كيكاوس ومجاهد الحاجب، كيكاوس وتعلم السباحة، كيكاوس وعادات السلطان مودود وملوك الروم.

ثالثا ــ حكايات عن أشخاص معروفين وهى :

الخليفة المتوكل وغلامه الفتح، أفلاطون والرجل الجاهل، محمد بن زكريا والمجنون، خسرو برويز ووزيره بزرجمهر، هارون الرشيد والمعبر، بزرجمهر والمرأة، الصاحب والفقيه الشافعي والشاب العلوي،الخليفة المأمون وتربة أنوشيروان، الصاحب بن عباد وضيفه، ابن مقلة ونصر بن منصور التميمي، الخليفة المعتصم والرجل المجرم، النبى والعجوز في بيت عائشة، شمس المعالى والغلام الجميل، السلطان مسعود ونوشتكين، عمرو بن الليث وأزهر الحمّار، شمس المعالى وعبد الله الجمازي، أحمد بن فريغون والراعى، كشتاسف في مدينة القسطنطينية، شهرباتو ابنة ملك العجم، سقراط وتلاميذه، مهذب العيّار وقشرة الشمامة، أرملة فخر الدولة والسلطان محمود، ذو القرنيين ووصيته، معاوية والرجل المجرم، قاضى القضاة أبى العباس الروياني والشجرة، فضلون بن مامان ومستشاره، فضلون وأبى البشير الحاجب، القاضى عبد الملك العكبري والمأمون، الصاحب بن عباد والكتبة، السلطان محمود والخليفة القادر، الأمير أبى علي سميجور وكاتبه، ربيع بن المطهر القصرى والصاحب إسماعيل بن عباد وفخر الدولة، أبو الفضل البلعمى وسهل الخجندى، السلطان طغرل بك والفارابي، السلطان محمود وأبى الفرج البستى، السلطان مسعود والعجوز المظلومة، فخر الدولة وقابوس بن وشمكير، الإسكندر ومقاتلة العدو الغافل، أبو الفضل الهمذانى العيّار، الشبلى والصبيان في المسجد.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولما كان الكتاب يحتوى على شكوى صاحبه من تناقص طاعة الأبناء لآبائهم، وحث ابنه فيه على أن ينهج في حياته نهجا فاضلا، مذكرا إياه بأنه ينتسب إلى أرومة ملكية فاضلة، كان حرى بنا أن نستعرض أوراق الكتاب، وما احتوته من فصول [٨٢].

ويتلو المقدمة محتويات الكتاب وهى على النحو التالى:

الباب الأول (في معرفة الله تبارك وتعالى).
الباب الثانى (في خلق الأنبياء ورسالتهم).
الباب الثالث (في شكر المنعم).
الباب الرابع (في ازدياد الطاعة عن طريق القدرة).
الباب الخامس (في معرفة حق الوالدين).
الباب السادس (في ازدياد الجوهر بازدياد الفضل).
الباب السابع (عن الحسن والقبيح في الكلام).
الباب الثامن (في نصائح أنوشيروان لابنه).
الباب التاسع (في الشيخوخة والشباب).
الباب العاشر(في فائدة الإقلال من الأكل وتنظيم الطعام).
الباب الحادى عشر (في ترتيب الشراب وشرائطه).
الباب الثانى عشر (في الضيافة والاستضافة).
الباب الثالث عشر (في المزاح والنرد والشطرنج).
الباب لرابع عشر (في العشق والحب).
الباب الخامس عشر (في التمتع بالحياة).
الباب السادس عشر (في فائدة الحمام الساخن وآدابه).
الباب السابع عشر (في النوم والاستجمام).
الباب الثامن عشر (في الصيد).
الباب التاسع عشر (في لعبة الكرة والصولجان).
الباب العشرون (في قتال الأعداء).
الباب الحادى والعشرون (في الغنى وجمع المال).
الباب الثانى والعشرون (في حفظ الأمانات والوفاء بالعهود).
الباب الثالث والعشرون (في شراء الرقيق).
الباب الرابع والعشرون (في شراء العقارات والمنازل).
الباب الخامس والعشرون (في شراء الخيول والدواب).
الباب السادس والعشرون (في الزواج وشروطه).
الباب السابع والعشرون (في تربية الأطفال).
الباب الثامن والعشرون (في اختيار الأصحاب).
الباب التاسع والعشرون (في الحذر من العدو).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الباب الثلاثون(في العفو والعقاب).
الباب الحادى والثلاثون (في طلب العلم والفقه).
الباب الثانى والثلاثون (في التجارة).
الباب الثالث والثلاثون (في علم الطب).
الباب الرابع والثلاثون (في علم النجوم والهندسة).
الباب الخامس والثلاثون (في فن الشعر).
الباب السادس والثلاثون (في فن الغناء والموسيقى).
الباب السابع والثلاثون (في خدمة الملوك).
الباب الثامن والثلاثون (في منادمة الملوك وآدابها).
الباب التاسع والثلاثون (في الكتابة والإنشاء وآداب الكتاب).
الباب الأربعون (في شرائط الوزارة).
الباب الحادى والأربعون (في صفات القائد وواجباته).
الباب الثانى والأربعون (في صفات الملك وواجباته).
الباب الثالث والأربعون (في الزراعة والفلاحة وأصحاب الحرف).
الباب الرابع والأربعون (في المروءة وطريق أهل التصوف وأهل الصنعة) (٨٣).

ونظرًا لأن كتاب قابوسنامه يضم أربعة وأربعين بابا، وإحدى وخمسين حكاية، فسنورد نماذج لهذه الأبواب، ونماذج أخرى للحكايات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الباب التاسع: في الشيخوخة والشباب

يا بني! مهما كنت شابا فلتكن لك رجاحة عقل الشيخ. لا أقول: تخل عن الشباب، ولكن حافظ على شبابك، ولا تكن من الشباب الخامل، فالشاب الحصيف ما أعظمه، فقد قال أرسطاطليس: الشباب شعبة من الجنون، وكذلك لا تكن من الشباب الجاهل، فالبلاء لا يتولد من الحصافة وإنما يتأتى البلاء من الجهل، وخذ حظك من أيام الشباب قدر الطاقة، فإن أصبحت كهلا، فلن تستطيع التحكم في نفسك، وهكذا قال ذلك الشيخ: كم من السنين تحملت الحسرات والغم، فعندما أصبح شيخا، فلن تهواني الحسان، وعندما أصبحت الآن كهلاً، فإنني الآخر لا أهواهن، وإن أهواهن فلا يليق ذلك، وطالما كنت شابا فلا تنس الله عز وجل، ولا تأمن دنو الأجل، فالموت لا يفرق بين شاب وكهل، وهكذا قال العسجدي:

بيت

لا يرتبط الموت بالمشيب أو بالشباب ولا أن يموت الشيخ ويعمر الشباب

الباب الثاني والعشرون: في إيداع الأمانة

إن يودع شخص لديك أمانة، فلا تقبل بأي حال مطلقا، وإن قبلت فكن حذراً، وذلك لأن قبول الأمانة قبول للبلاء،... وإن يعطك شخص أمانة، فعليك أن تردها إليه مرة أخرى، امتثالاً لأمر الله عز وجل في محكم تنزيله {أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها} فطريق الرجولة والآدمية والفتوة هو ألا تقبل أمانة، ولكن إن قبلت فلتحفظها، وتعيدها سالمة إلى صاحبها.

الباب الخامس والثلاثون: في فن الشعر وشروط الشاعر

إن تكن شاعرا، فاجتهد أن يكون كلامك من السهل الممتنع، وتجنب الكلام الغامض، ولا تقل الشيء الذي تعرفه ولا يعرفه الآخرون، وإنما يحتاج إلى شرح وتوضيح، فالشعر ينشد من أجل الجميع، لا من أجل النفس.

ولا تقنع بالأوزان والقوافي الجوفاء، ولا تنظم شعراً بلا صنعة وحسن ترتيب، فالشعر المباشر غير مقبول.

فإما أن تكون فيه صنعة وحركة كما يجب، وبه حرارة وغليان كما يجب، سواء في طريقة النظم أو في تحريك الأحاسيس أو في الصوت حتى يكون مستحسنا من الخلق، وأن تكون تلك الصناعة متعلقة بقوانين الشعر مثل: الجناس والطباق والمتضاد والمتشاكل والمتشابه، والمستعار والمكرر، والمرادف والمزدوج، والموازن والمضمون، والمضمر والمسلسل والمسجع والمستوي، والمرشح والموصل، والمقطع والمخلع والمسمط، والمستحيل ذي القافيتين، والرجز والمتقارب والمقلوب. وإن كنت ترغب في الارتفاع بكلامك وتضمن له الخلود، فليكن معظم حديثك مقرونا بالاستعارة، ولتقل الاستعارة المقبولة، ولتستخدم الاستعارة في المديح، وعندما تنشد غزلاً أو أغنية فلتكن سهلة لطيفة. وأن تكون قوافيها شائعة معروفة، ولا تضمنه الكلمات العربية الباردة والغريبة.

ولتقل بما يتفق وحسب الأحوال العاطفية والكلام اللطيف، ولتستعمل الأمثال المستحسنة كتلك التي يستحسنها كل من الخاص والعام، ولا تقل شعرا عروضيا ومستهجنا.

الباب الثاني والأربعون: في صفات الملك وواجباته

أيها الغلام! إن تكن ذات يوم سلطانا، فتلكن زاهداً عفا، ولتبعد عينك ويدك عن حرمات المسلمين. ولتكن طاهر الذيل، فطهارة الذيل من الدين. ولتجعل رأيك في كل أمر خاضعا لمنطق العقل، وأي عمل تريد إتيانه، فلتستشر فيه أولاً من يصغرك، فرئيس الوزراء سلطان صغير، وإن تزوجها للتأخير، فلا تسلك طريق العجلة، وفي أي عمل تريد أن تخوض فيه فلتنتظر أولاً طريق الخروج، ولا تنظر إلى البداية إن كنت لا ترى النهاية، ولتسلك طريق المداراة في كل الأمور، وفي كل أمر لا يتم إلا بالمداراة، لا تمض فيه بغير المداراة، ولا تستحسن الظلم، ولتنظر إلى كل الأعمال والأقوال بعين الإنصاف، حتى تستطيع رؤية الحق والباطل في كل الأمور، فإن يعدم السلطان العين المبصرة للإنصاف والتعقل، فلن أمامه طريق الحق والباطل، ولتكن صادقا فيما تقول دائما، ولكن لتكن قليل الكلام، قليل الضحك، حتى لا يتجرأ عليك الصغار، فقد قيل: أسوأ ما يصيب السلطان تجرؤ الرعية عليه، وعدم الطاعة من الحاشية، والعطاء الذي يتصدق به فلا يصل إلى مستحقيه!

وفي الباب التاسع يتحدث عن الشيخوخة والشباب فيقول: "يابنى كن فطنا، ولا تغتر بالشباب، واذكر الله عز وجل في الطاعة والمعصية في أى حال تكون، واخش الموت، ولا تجعل كل صحبتك ومعاشرتك مع الشبان، وجالس الشيوخ كذلك، واجعل رفقاءك وندماءك خليطا من الشيوخ والشباب، لأن الشيوخ يعرفون أشياء لا يعرفها الشبان، ومهما كان الشبان يعدون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنفسهم أعلم الناس فحذار أن تكون على شاكلة مثل هؤلاء الشبان، وقر الشيوخ، ولا تتحدث إليهم جزافا، وكن دائما رحيما بالشيوخ"(٨٤).

ثم يعنى "عنصر المعالى" بالحديث عن مراحل العمر، فحث ابنه على اغتنام مرحلة عمره الوسطى، لأن أوائل العمر زمن الطلب، فإذا جاوز السبعين يجعل الغالب عليه ذكرا لآخرة والتهيؤ للرحيل فيقول: "ومما قرأت في الكتاب، أن الرجل حتى الرابعة والثلاثين يزداد كل يوم في القوة والتركيب، وبعد ذلك يبقى هكذا حتى الأربعين لا يزيد ولا ينقص، كالشمس وقد بلغت كبد السماء، تكون بطيئة السير حتى الزوال، ومن الأربعين حتى الخمسين يرى كل عام في نفسه نقصانا لا يكون قد رآه في السنة الماضية، ومن الخمسين حتى الستين يجد كل شهر في نفسه نقصانا لا يكون قد وجده في الشهر الماضي، ومن الستين إلى السبعين يرى كل أسبوع في نفسه نقصانا لا يكون قد رآه في الأسبوع المنصرم، ومن السبعين إلى الثمانين يرى كل يوم في نفسه نقصانا لم يكن قد رآه بالأمس، وإذا جاوز الثمانين يرى في نفسه كل ساعة ألما وعناء لا يكون قد رآه في الساعة الأخرى"(٨٥).

حكاية عن الشيخوخة:

كان من بين حجاب والدي حاجب يقال له: الحاجب الكامل، وكان شيخاً قد تجاوز الثمانين فأراد أن يشتري حصانا، فأحضر إليه السائس حصانا مكتنزا وحسن المنظر، وذا قوائم مستقيمة، فرأى الحاجب الحصان وأعجب به، وسأل عن ثمنه، ولكن عندما رأى أسنانه، وجد الحصان مسنا، فلم يشتره، واشتراه رجل آخر. فقلت له: يا حاجب، هذا الحصان الذي اشتراه فلان، لم لم تشتره؟ قال: إنه رجل شاب ولا يدري شيئا عن متاعب الشيخوخة، وهذا الحصان الكبير مجرد منظر، فإن يخدع هو بذلك، فله عذره، أما بالنسبة لي وقد خبرت آفة الشيخوخة وألمها، وأدركت ضعفها وعجزها، فكيف أكون معذورا حين اشترى حصانا عجوزا؟.

أهمية قابوسنامه:

هناك حقيقة علمية ثابتة تطالعنا عند دراسة الحياة العلمية في العصر الإسلامي هى: أن علماء ذلك العصر قد أبدعوا في أكثر من جانب من مجالات العلوم المختلفة، فنرى العالم آنذاك قد تبحر في علوم القرآن والحديث واللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا، بل تعدى ذلك إلى العلوم العقلية.

وهناك ظاهرة ملفتة للنظر في تاريخ الفكر الإسلامي، ولا يحدث أدنى صعوبة للتدليل عليها، فنظرة فاحصة في كتب التراجم والسير والطبقات وكتب الفهارس التى اهتمت بإحصاء المصادر العربية ومؤلفيها، نجد العشرات من المؤلفين المسلمين الذين كتبوا في أكثر من فن، إلا أن الشهرة التى حصل عليها هذا العالم، أو ذاك قد لا تتعدى بضعة جوانب، بينما طويت أو نسيت الجوانب الأخرى بين ثنايا الكتب، وأصبحت في حكم المجهولة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويبدو أن التجارب علمت "كيكاوس" أن نوال المعالى منوط بسهر الليالى، فنشأ جامعا لرفه الرخاء الذى نشأ فيه، وخشونه الحروب التى تقلبت عليه مدة أبيه، وأكسبته تصاريف السياسة، وكانت للظروف القاسية، التى عناها في حياته السياسية، أثر بالغ في طبع مواهبه الأدبية بذلك الطابع الفلسفي الذى غلب على نثره (٨٦).

وتبدو أهمية كتاب قابوسنامه في نقاط عدة أهمها:

صدق الكاتب فيما يكتب، فلم يكن يقدمه لملك أو أمير حتى يتملقه، أو يكتب غير ما يقصد، بل كان الكاتب ملكاً مهيبا، لذا يعد كتابه خاليا من التملق والرياء والنفاق. وكان أباً يكتب لابنه، فكان صادق الأحاسيس عندما يوجه النصح والإرشاد لابنه وفلذة كبده، كما كان صاحب تجربة واسعة وعلم وفير، مكنه كل ذلك من أن يحسن العرض والنصح، ويقدم الكثير من المعلومات والنصائح، مع إسناد بعض الحكم إلى قائليها، سواء من الفرس، أو العرب، أو اليونان.

كان المؤلف شاعرا إلى جانب كونه كاتبا، لذا أورد كثيرا من أبيات الشعر في ثنايا النثر وهو يعد من أوائل الكتاب التي نهجت هذا الأسلوب في التأليف، وتبعه في ذلك سعدي في "الكستان"، وقد كانت بعض الأشعار من تأليف الكاتب نفسه وبعضها من نظم غيره، ولكن من الملاحظ أن عنصر المعالي قابوس كان يصرح أحيانا باسم الشاعر، وأحيانا يورد البيت دون ذكر صاحبه، كما أن الحق يوجب القول بأن أسلوبه النثري يفوق أسلوبه الشعري، وعلى هذا فإن الدارسين يعتبرون شعره ركيكا إذا ما قيس بفصاحة أسلوبه النثري وسلاسته.

أورد المؤلف كثيرا من الأمثال والحكم التي كانت شائعة الاستعمال في عصره، أو التي اطلع عليها المؤلف في قراءاته، فأثبتها في مواضعها من الكتاب، لتكون عونًا له على هداية ابنه، وحمله على تقبل النصح والموعظة، ومن هذه الأمثال والحكم نسوق ما يلي:

كل طائر يطير مع شاكله
المرء في داره كالملك في مملكته
عصفور في اليد خير من طاووس مرتقب
من أتعس الأمور أن يحتاج الرقيب إلى من يراقبه
إذا أردت أن تدخل مكانا، فانظر أولاً كيف تخرج منه.
مهما بلغ الأمر، فلن يؤتمن القط على الشحم "الدهن"
الحيوان المجرب خير من الإنسان عديم التجربة.
ضاع الحمار وسرق الرسن.
أن تحظى بالقليل نقدًا، خير من توعد بالكثير أجلا.
ليس في مقدور من نام في القبر أن ينام في الدار.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منهج عنصر المعالى في كتابه:

يعد كتاب "قابوسنامه" من الناحية التاريخية ثبتا مليئا بالخبرة العملية الواعية، وهو أيضا من الكتب المهمة، في النثر الفارسي، التي أطلعتنا على الكثير من مظاهر التمدن والتحضر والأوضاع الاجتماعية في عصره، بل ويمكن اعتباره خير مصدر للتعرف على الكثير من مظاهر الحضارة الإسلامية، قبل الغزو الصليبى للعالم الإسلامي.

ويعتبر نثر قابوسنامه من أفضل نماذج النثر في اللغة الفارسية، وأسلوبه يتسم بالإيجاز في اللفظ مع الإشباع في المعنى، وخلوه من المترادفات اللفظية، كما أن الألفاظ العربية المستعملة فيه جاءت عفوًا ودون قصد، إذ لم يستعمل إلا ما كان سائدًا في زمانه من ألفاظ كانت في متناول فهم الجميع، فالكتاب للنصح والإرشاد، وعلى هذا يجب أن يكون واضحًا قريب المنال، حتى لا يضيع فكر القارئ في معرفة المحسنات والصور البلاغية، ثم ينسي النصيحة وهي لب الكتاب وهدفه الأول، وليس معنى هذا أي ضعف أو وهن في الأسلوب، بل إنه أسلوب قوي سلس، يدخل في باب السهل الممتنع من الأساليب(٨٧).

ويري البعض أن الأمير "عنصر المعالى" قد أحيا الطريقة القديمة التي كانت سائدة قبل الإسلام، وهي تأليف كتب النصيحة للملوك والسلاطين والأمراء، وقد تبعه في ذلك عدد من الكتاب الفارسيين(٨٨)، إما عن طريق التأليف ككتاب "سياست نامه" لنظام الملك، و"نصيحة الملوك" المنسوب إلى حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، أو عن طريق النقل والترجمة والتقديم والتأخير والحذف، من الكتب العربية أو الفارسية الأخرى مثل أخلاق ناصري(٨٩).

ونتيجة أيضا لشهرته الواسعة وتميزه في مجال النثر الفارسي، وفي طريقة سرد الحكايات والقصص المشوقة، نقلت عنه كثير من الكتب القديمة، ومنها "حديقة الحقيقة" لسنائي و"جوامع الحكايات" لمحمد عوفي، و"كارستان" للقاضي أحمد غفاري، و"مطلع الأنوار" لخسرو الدهلوي، و"روضة الأنوار" لمحقق سيزوار، وغير ذلك من الكتب التي ألفت بعده(٩٠). والحقيقة أن قابوسنامه لم يكن أول كتاب في بابه يتميز بهذا اللون من الكتابة التاريخية، لاسيما في الأدب العربي والفارسي، فقد نحا هذا النحو كثير من المؤلفين الإسلاميين السابقين عليه، والتى اعتمدت إلى حد كبير على الأدبيات الفارسية القديمة، لاسيما الخاصة بالنصائح والرسوم والعادات الفارسية القديمة، أمثال: "رسالة الصحابة" لابن المقفع(٩١)، و"عيون الأخبار" لابن قتيبة الدينورى، و"الآثار الباقية" للبيرونى، و"ثمار القلوب في المضاف والمنسوب "للثعالبى" و"الفهرست" لابن النديم، و"تاريخ طبرستان" لابن أسفنديار، وغيرهم كثير(٩٢).

وقد وصف بعض المستشرقين كتاب "قابوسنامه" وصفا دقيقا في كلمات موجزة، إذ قال المستشرق الإنجليزي "إدوارد براون"(٩٣) في حقه: فاز كتاب قابوسنامه بشهرة عريضة وهو بغير شك قمين بها، وأهل لها، لأنه ملئ بالحكمة والبراعة، غني بالحكايات والأمثلة، يضاف إلى هذا أنه كتاب ملكي، كتبه صاحبه بأسلوب صريح لا مواربة فيه، مستمدًا موضوعاته من تجاربه الكثيرة الناضجة وخبرته الطويلة الكاملة(٩٤).

ويعتبر كتاب "قابوسنامه" من أعظم المصادر التى تناولت فكرة النصائح التي لا يستطيع باحث أن يغفلها، فقد نهج فيه نهجاً يدل على ثقته بعقله، وجمع فأوعى، فهو كتاب متنوع المعارف نفيس الفوائد، برز فيه الكم الهائل من المعلومات التى أوردها، من حيث إحاطته بهذا الكم الكبير من التفاصيل الدقيقة التى يوردها.

والجدير بالملاحظة أن أغلب الحكايات التى ورد ذكرها في قابوسنامه؛ توجد في مجموعات الحكايات الفارسية السابقة عليه، دون أن تنسب إلى شخص بعينه، بينما نجدها عند عنصر المعالى تنسب إلى أشخاص معروفين(٩٥)، كتلك الحكاية التى جاءت في الباب الحادى والثلاثون، والتى تتعلق بحكمة القاضى "أبى العباس الروياني" (قاضى طبرستان) وكيف استشهد في إحدى قضاياه المعروضة عليه بشهادة الشجرة، والتى استغل فيها مهارته الفكرية في الإيقاع بالجاني، وأن الشجرة التى وقعت عندها الجريمة سوف تأتى إلى مجلسه وتشهد بالحقيقة، الأمر الذى دعى الجانى إلى الاعتراف بالحقيقة(٩٦). بينما توجد نفس الحكاية مذكورة في باب الحكايات في كتاب "النحو الفارسي" دون أن تنسب إلى شخص معين(٩٧).

ومع ذلك فهناك حكايات نسبها المؤلف لأحد من الناس، بينما ذكرها من قبله منسوبة إلى أناس آخرين، مثال ذلك: الحكاية الشهيرة التى جاءت في قابوسنامه عن التهديد الذى أرسله السلطان "محمود الغزنوي" إلى الخليفة العباسي "القادر بالله"، عندما أراد السلطان أن يصدر إليه الخليفة منشورا بمنحه إقليم ما وراء النهر، ولما امتنع الخليفة عن إجابته، هدده بأنه سوف يأتى على بغداد ويخربها تحت أقدام الفيلة، فرد عليه الخليفة برسالة صدرها بعد (بسم الله الرحمن الرحيم) بالحروف "أ. ل. م."، وفي آخر الكتاب (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله أجمعين). ولم يفهم السلطان في البداية قصده من كتابة هذه الأحرف، حتى استطاع أحد حاشيته وهو "أبو بكر القهستاني" أن يحل هذا اللغز، وأنه رقي إلى منصب أعلى بفضل مهارته في حل لغز رسالة الخليفة (٩٨).

بينما نجد أن تلك الحكاية وردت في "شهنامة" الفردوسي (السابقة على قابوسنامه) ولكن أبطالها أناس آخرون، وخلاصتها أن "الفردوسي" الشاعر المشهور، وصاحب الشهنامة، وقعت الجفوة بينه وبين السلطان "محمود الغزنوي" لعدم تقديره له في إنشاء شهنامته الرائعة، فكتب كتابا يهجو فيه السلطان، وتركه عند أحد أصدقائه، وأوصاه بعدم إذاعته إلا بعد أن يتمكن من الفرار إلى طبرستان والاحتماء بحاكمها(٩٩).

فلما ذاعت تلك الرسالة اللاذعة، وقرأها السلطان محمود، استشاط غيظا من قائلها، وأرسل إلى أمير طبرستان يطلب إليه تسليم الفردوسي، وهدده بأنه سيزحف عليه بأفياله، ويخرّب بلاده وديارة، ويقتل شعبه ورجاله، إذ هو امتنع عن إجابته إلى مطلبه، فلما وصلت الرسالة إلى الأمير، اكتفي بأن يكتب على ظهرها الحروف الثلاثة " أ. ل. م " ثم بعث بها ثانية إلى السلطان، فلما لم يفهمها فسرها له أحد وزرائه أنه يقصد من ورائها، أنه سوف يحدث له ما حدث لأبرهة، عندما قصد مكة بأفياله في العام الذى ولد فيه النبي ﷺ، والتى نزلت فيها سورة "الفيل" والتى جاء في مطلعها هذه الأحرف الثلاث(١٠٠).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان مقصد صاحب طبرستان من التلميح بهذه الأحرف وافيا بالغرض حتى إنها أثنت السلطان محمود، وعاد عن تهديده[١٠١].

ويعلق براون على تلك الراوية بقوله[١٠٢] "ولا شك أن إبداء المهارة في اقتباس الآيات القرآنية، او التلميح إليها يعتبر من أجمل الصناعات التى يعجب بها المسلمون عامة، والتى تحتل مكانة أثيرة في قلوبهم".

وعلى أي حال تبدو القيمة العلمية للكتاب، أوضح ما تكون، في اعتماد المصنف على السماع في إيراد بعض الأخبار، والمعارف التى يسوقها توضيحا لآرائه، وهى في الغالب مستقاة من تجاربه الشخصية، وبعض حكاياته توجد في مجموعات الحكايات الفارسية، والتى في الغالب ينسبها إلى أشخاص معينين[١٠٣].

وفى القصة التالية، التى يسوقها "عنصر المعالى" نفسه، ما يدل على ذلك، إذ يقول: "سمعت أن الشبلي رحمة الله عليه ذهب ذات يوم إلى مسجد، لكي يصلي ركعتين ويستريح بعض الوقت. وكان بالمسجد تلاميذ يدرسون، ومصادفة كان الوقت وقت تناول الأطفال طعامهم، فجلس على مقربة من الشبلي رحمة الله عليه طفلان ؛ أحدهما ابن غني والآخر ابن فقير، فوضع كل منهما زنبيله بجواره، فكان في زنبيل الولد الغني خبز وحلوى، وفي زنبيل الفقير خبز فقط، ثم أخذ الولد الغني يأكل الخبز والحلوى، وكان الطفل الفقير يطلب منه قطعة من الحلوى، فقال الطفل الغني: إن أعطك قطعة من الحلوى، فتلكن كلبي! فقال: لأكن فقال: لتنبح حتى أعطيك الحلوى، فأخذ ذلك المسكين ينبح نباح الكلب، والطفل يعطيه الحلوى، وهكذا فعل عدة مرات، والشيخ الشبلي ينظر إليهما ويبكي. فقال المريدون: أيها الشيخ ما أصابك حتى تنتحب هكذا ؟ قال: انظروا كيف يفعل الطمع وعدم القناعة بالناس. ماذا كان يحدث لو أن ذلك الطفل قنع بخبزه الجاف وحده، ولم يطمع في حلوى ذلك الطفل، ولما أحال نفسه كلبا بهذه الصورة التي لا تليق؟[١٠٤].

وأنت يا بني سواء أكنت زاهدا أو فاسقا، فلتكن قانعا غير طامع، حتى تكون أعظم وأطهر من في الدنيا، واعلم يا بني أنني في هذه الأربعة والأربعين بابا في هذا الكتاب؛ قد حدثتك بكل ما أعرفه، وذلك قدر استطاعتي، وفي كل باب جعلت بعض الكلام بمثابة النصح والموعظة لك[١٠٥].

وثمة ملاحظة مهمة هى أن الأمير "عنصر المعالى" كتب كتابه "قابوسنامه" باللغة الفارسية أسوة بما فعله جده لأمه "مرزبان بن رستم بن شروين" صاحب "مرزبان نامه"، والكتاب تم ترجمته إلى اللغة العربية[١٠٦].

ولا عجب أن يعرف "عنصر المعالى" الفارسية، وإنما المستغرب ألا يعرفها، فقد ولد من أبوين فارسيين، فأبوه هو "إسكندر بن قابوس بن وشمكير بن زيار" الديلمي، وأمه هى بنت السلطان "محمود بن ناصر الدين" الغزنوى، وجده هو "حسن فيروزان" ملك الديلم [١٠٧].

وكان الفرس ــ لاسيما الديلم منهم ــ حريصين على الاحتفاظ بمقوماتهم من لغة، وعادات وتقاليد، فلا عجب إذاً أن يكون والداه قد لقناه لغتهم الأصلية.

والواقع أن الأدباء العرب كانوا يعكفون على تعلم الفارسية ويتقنونها، وأوضح مثال على ذلك "العتابى" الشاعر العباسي المعروف (وهو عربى من تغلب)، وقد سأله رجل: "لم كتبت كتب العجم ؟ فقال: وهل المعاني إلا في كتب العجم والبلاغة، اللغة لنا والمعانى لهم"(١٠٨).

وفي الكتاب ظاهرة تستثير الإعجاب، وهى أن صاحبه يعتمد على القصص التمثيلية الذى يستشهد بها في ثنايا حكاياته، فالكتاب يمتاز بالإيناس، لما يورده من طريف الأخبار، ومليح الفكاهة، فهو ليس كتاب تاريخ بقدر ما هو كتاب أدب وأخلاق، جمع قدرا عظيما من الأخبار السياسية والأخلاقية.

الجانب الديني والأخلاقي عند عنصر المعالى:

المطلع على كتاب "قابوسنامه" يلحظ أن مؤلفه تأثر، إلى حد كبير، بالتعاليم والآداب الإسلامية الأصيلة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١٠٩) وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾(١١٠) وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١١١)، وما ورد أيضا في الأحاديث النبوية التى تحث على مكارم الأخلاق.

وتتجلى الثقافة الدينية في تكوين شخصية "عنصر المعالى" الفكرية، إذ كان حريصاً على أن يزين كلامه بالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، والأشعار الفارسية والعربية التي تخدم الغرض الذي يكتب من أجله(١١٢)، الأمثلة التى يضربها لنا المؤلف عن آداب السلوك تبدو أحيانا لاذعة ماهرة، وفي بعض الأحيان تبدو نابعة من تجاربه الشخصية، فنراه يطلب من ابنه أن يتعلم الحكمة حتى من الجهلاء، فإن العلم ضالة المؤمن، من حيث أخذه نفعه، وقد قال ابن عباس (رضي الله عنه) "خذوا الحكمة ممن سمعتموها منه، فإنه قد يقول الحكمة غير الحكيم، وتكون الرمية من غير رام"(١١٣). ولكنه في الوقت نفسه يحذره من الإغراق في التواضع، لأن كثيرا من الرجال قد أخفقوا بسبب ما امتازوا به من أدب جم(١١٤).

والقارئ يطالع فيه طرفا من أخبار الرسولﷺ، وأهل بيته، والخلفاء، وأكاسرة الفرس وحكمائهم ووزرائهم، وعمالهم ورجال بلاطهم، كما يلتقي أيضا بالكتاب والشعراء والقضاة والفقهاء والزهاد والمتصوفين، وكأنه يعيش وسط هؤلاء جميعا(١١٥). ولكل حكاية هدف تسعى إليه، أو بها مشكلة تحل في نهايتها، والمعانى التى تدور حولها هذه الحكايات هى المروءة، والأمانة وحب الخير، والشجاعة، والشطارة، والجاسوسية، والاحتيال، والعدالة، والبلاغة، والنفور من الجهل، وادعاء العلم، وغير ذلك من المعانى الأخلاقية. ويعتمد أشخاص الحكايات على الفقه والمنطق، والعلوم الدينية والفلسفية، وتجارب الحياة، وكلها أفكار نابعة من فكره ووجدانه، بأسلوب في غاية الروعة والبلاغة (١١٦).

وعلى الجملة فحكايات "قابوسنامه" عبارة عن قصص واقعية وتاريخية، وبعضها أخلاقي وأحيانا يمزجها بالمزح، حتى لا يمل القارئ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويحرص "عنصر المعالى" على التأكيد لابنه على بيان أن الله تعالى لا يريد الإيمان من عباده إجبارا، وإنما اختيارا، فالله سبحانه وتعالى يريد أن يعطى عباده فرصة الاجتهاد، وإعمال الفكر فيما يجب عليهم، وما لا يجب من الأعمال، هذه هى إرادة الله، فالله سبحانه وتعالى متفرد بالخلق. ولما كان الأفراد غير مجبرين على الإيمان، إذ لو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا، إلا أنهم ارتضوا الإيمان، فلابد أن يعملوا بأحكام المشرّع. ويقول عنصر المعالى[١١٧] في الباب الأول وعنوانه (في معرفة الله تبارك وتعالى) "اعلم يا بنى أنك في معرفة الله الخالق عاجز، إذ ليس للمعرفة إليه سبيل، وكل ما عداه صار معروفا، وإنما تكون عارفا لله عندما تكون غير معروف، ومثال المعرفة كالمنقوش، والعرف كالنقاش، فما لم يكن في المنقوش قبول للنقش، لا يستطيع نقاش أن ينقش عليه. ألا ترى أن الشمع لما كان أكثر قبولا للنقش من الحجر، تعمل منه الأختام ولا تعمل من الحجر! فعليه يكون في كل معرفة قبول للعرفان، والخالق غير قابل للمعرفة، فتأمل في نفسك ولا تتأمل في الخالق".

أما حديث تناول الشراب فينصحه بعدم تعاطى النبيذ، فيقول: "فلا أقول تعاط الشراب، ولا استطيع أيضا أن أقول لا تشرب ؛ لأن الشباب لا يرجعون عن فعلهم بقول أحد، فقد قيل لى كثيرا ولم اسمع، حتى منحتنى رحمة الله التوبة بعد الخمسين، فإذا لم تشرب يكون لك ربح الدارين، وتنال رضا الله تعالى، وتنجو من ملامة الخلق، ومجالسة غير العقلاء، وفعل المحال"[١١٨].

ويرسم "عنصر المعالى" لابنه قواعد السلوك والمعاشرة، وذلك في الباب الثاني والعشرين وهو بعنوان: (في إيداع الأمانة) فيقول: "إذا استودعك شخص أمانة فلا تقبلها، وإذا قبلتها فاحفظها، لأن قبول الأمانة للبلاء، إذ إن عاقبة ذلك لا تخرج عن ثلاثة أشياء، إما أن ترد إليه الأمانة، كما أمر الله عز وعلا في محكم تنزيله أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها" فإن طريق المروءة والإنسانية والشهامة هى أن لا تقبل الأمانة، وإذا قبلتها تحافظ عليها وتعيدها إلى صاحبها سالمة"[١١٩].

ومؤلف الكتاب ينصح ابنه بكيفية التعامل مع الآخرين، لاسيما عند التحدث و مخالطة الناس، فإن الحديث ومخالطة الناس أمران يحتاجان إلى قدرة بارعة، فقد يحسن المرء الكلام في موضع قد يحسن فيه السكوت، وقديما قالوا "حتف المرء في منطقه". وهو يبين لنا ذلك وهو ينصح ابنه في باب (طلب العلم) فيقول: "إذا كنت عالم فتوى فكن دينا وكثير الدرس والحفظ، ومتعبدا وصائما، ولا تتجاوز عن ذلك، وكن ورعا طاهر الثوب، حاضر الجواب، تفت في أية مسألة، ولا تعمل بغير قول الثقات، ولا تعتمد على خبر الآحاد، ولا تتعصب كثيرا، ولا تتكلم عن تعصب، وإذا ناظرت فانظر إلى الخصم، فإذا كانت لك قوته وعرفت أنك ترجحه في الكلام، فتداخل في المسائل، وإلا فتوقف عن الكلام، وإذا كانت المناظرة فقهية فقدم الآية على الخبر، والخبر على القياس، وتكلم بالممكنات، وقل الكلام مرتبا، ولا تقله أبتر، وكذلك لا تتكلم طويلا بغير جدوى"[١٢٠].

أما الأمثلة التى يضربها المؤلف عن آداب المجتمع، فهو يقرر أنه من الواجب على المضيف ألا يكثر الاعتذار لضيفه عن تفاهة ضيافته، لأن هذا يشعر الضيف بالحرج وضيق الصدر، كما يجب على المضيف ألا يؤنب خدمه على ما يبدو منهم من تقصير في حضور ضيوفه. فإذا انتهى من ذلك أوصى ابنه ألا يلعب "النرد" أو "الشطرنج" بالدراهم والدنانير، وأن يتجنب القسم وحلف الإيمان، ويحذر من إعارة النقود لأحد من أصدقائه، ما لم يكن واثقا منه، لأنه يمكن أن يعتبرها هبة، إذا لم يستطع ردها، طمعا في صديقه(١٢١).

ويلاحظ أيضا أن روح التصوف ظاهرة في كتابه، فنراه مثلا لا يترك مناسبة تمر دون أن يورد كثيرا من كلام الزهد والورع عند نصيحته لابنه، حتى إنه أفرد له بابا مستفيضا مليئا بحكايات أهل التصوف في كتابه، وذلك في الباب الرابع والأربعين وهو بعنوان: (في المروءة وطريق أهل التصوف وأهل الصنعة) إذ يقول: "اعلم يابنى أن من صفات الناس ثلاثة أشياء، لا تجد آدميا قط يقول إن هذه الأشياء الثلاثة ليست في... وأول هذه الأشياء الثلاثة العقل، وثانيهما الصدق، وثالثهما المروءة، ولا يوجد جسد ليست فيه هذه الصفات الثلاثة... وحقيقة التصوف بإجماع كل المشايخ، ثلاثة أشياء: التجريد، والتسليم، والتصديق...فاسع يابنى واجتهد حتى ترقى بقدر ما في وسعك واستطاعتك...".

ثم يستعرض حكاية مفادها أن صوفيين، ذات مرة، كانا يسيران معا، وكان أحدهما معدما ومع الآخر خمسة دنانير، فكان المعدم يمشي جسوراً غير خائف، وحيثما وصل كان يستشعر الأمن، كما كان يستسلم للنوم في أي مكان من الخوف، ولكنه مضطر لمصاحبته، إلى أن جاء وقت ووصلا إلى حافة بئر، وكان المكان مهيبا، وعلى مفرق عدة طرق، فأكل الصوفي المعدم طعامه ونام هانئا، أما صاحب الخمسة دنانير فلم يستطع النوم، وأخذ يقول: ماذا أفعل! معي خمسة دنانير ذهبية وهذا المكان جد مخيف، لقد استسلمت أنت النوم، أما أنا فقد جفاني النوم، أي أنني لا أستطيع النوم، كما لا أستطيع المضي! فقال الصوفي المعدم: أعطني الدنانير الخمسة، فأعطاه إياها، فألقاها في قاع البئر، وقال: لقد تحررت، فنم مطمئنا واجلس وامض، فالمعدم قوي صلد في المعارك!(١٢٢).

<u>وبعد، فقد أسفر البحث عن النتائج التالية:</u>

١ــ كان ظهور الزياريين، في منطقة المشرق الإسلامي، هو الخطوة الأولى في سبيل استرجاع النعرات القومية للبلاد الفارسية بصورة سافرة وعلنية، بل وحلقة من حلقات التطلع الفارسي لاستعادة مجدهم القديم ــ والتي عرفت عند المؤرخين المسلمين بالشعوبية ــ بعد أن ظلت تلك الأماني حبيسة الصدور، فلما سنحت لدعاتها الفرصة تفجرت وأعلنت عن نفسها وقد ظهر هذا جليا فيما دعا إليه "مرداويج بن زيار" من استعادة الأمجاد الفارسية البائدة، ومحاولا إزالة دولة العرب، وإقامة دولة الفرس.

٢ــ على الرغم من أن الدولة الزيارية دولة فارسية ديلمية؛ إلا أن الثقافة العربية ازدهرت فيها ازدهارا واسعا، برغم أن السلطات العليا كانت في أيدى عناصر من أصول غير عربية.

٣ــ مؤلف الكتاب شخصية لها قيمتها السياسية، فقد كان أميرا من أمراء الأسرة الزيارية ولذلك فإن الآراء التي قدمها في كتابه آراء مستمدة من واقع عمله وتجاربه، ولم تكن مجرد آراء نظرية غير قابلة للتنفيذ أو التجريب، بعكس ما كتبه غيره من المؤلفين الذين لم تتح لهم فرصة العمل السياسي، كابن سينا الذي ألف رسالة في السياسة، أو الغزالي في كتابه نصيحة الملوك... وغيرهما.

٤ــ لم يكن الأمير "عنصر المعالى" أول من نحا هذا النحو من التأليف، بل كان مقلدا إلى حد كبير لكتب الحكم، والنصائح الفارسية القديمة، والتى كان يتداولها العلماء، ويتأدب بها الناس.

٥ــ يتميز أسلوب "قابوسنامه" بأنه سلس واضح بعيد عن الغموض، كما جاء خاليا من المحسنات البلاغية، وهو أسلوب أجمع الكل على فصاحته وجزالته.

٦ــ يتجلى في كتاب "قابوسنامه" أثر الثقافة الدينية في تكوين شخصية "عنصر المعالى" الفكرية، إذ كان حريصاً على أن يزين كلامه بالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، والأشعار الفارسية والعربية التي تخدم الغرض الذي يكتب من أجله

٧ــ ورد في "قابوسنامه" بعض القصص، ولكنها اتسمت بالقصر،وتعد مرحلة من مراحل الانتقال من الحكاية، أو ما أطلق عليه فيما بعد اسم المقامات بعد ذلك.

٨ــ الكتاب يمتاز بالإيناس، لما يورده من طريف الأخبار، ومليح الفكاهة، وعلى الرغم من كونه كتابا ليس تاريخيا، إلا أنه جمع قدرا عظيما من الأخبار السياسية والأخلاقية الحري بنا العمل بها .

٩ــ يعد كتاب "قابوسنامه" ثبتا مليئا بالخبرة العملية الواعية، فهو من الكتب المهمة في النثر الفارسي التي أطلعتنا على الكثير من مظاهر التمدن والتحضر والأوضاع الاجتماعية في عصره، بل ويمكن اعتباره خير مصدر للتعرف على الكثير من مظاهر الحضارة الإسلامية في القرن الخامس الهجرى (١١م).

١٠ــ أورد "عنصر المعالى" كثيرا من الأمثال والحكم التي كانت شائعة الاستعمال في عصره، أو التي اطلع عليها في قراءاته، فأثبتها في مواضعها من الكتاب، لتكون عونًا له على هداية ابنه، وحمله على تقبل النصح والموعظة.

ولعل أجمل ما يسرني ويشرح صدري أن أجد صدى طيبا لهذا العمل، وأن يكون حظ عملي القبول والرضا الوفير لدى الجميع، والله ولى التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

أولا ـ المصادر :

* ابن الأثير :علي بن أبي الكرم (ت ـ٦٣٠هـ).

١- الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية ط٣، بيروت، ١٩٨٨م.

٢- اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر بيروت، ١٩٨٠م.

* ابن اسفنديار: بهاء الدين محمد بن حين بن أسفنديار(ت ـ٧٥٠ هـ)

٣ـ تاريخ طبرستان، ترجمة :أحمد محمد نادي، طبع المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة ٢٠٠٢ م.

* البيهقي: أبو الفضل محمد بن حسين (ت ـ٤٧٠هـ) .

٤ ـ تاريخ البيهقي، ترجمه إلي العربية د/ يحيي الخشاب، وصادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٥٦م.

* الثعالبي: أبو منصور بن عبد الملك بن محمد النيسابوري (٤٢٩هـ).

٥ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية ط١ بيروت ١٩٨٣.

* ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي(ت ـ ٥٩٧هـ)

٦- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، ط١ حيدر أباد ١٣٥٩هـ.

* ابن خاوند شاه: محمد بن خاوند شاه بن محمود (ت ـ٩٠٣ هـ).

٧- روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، ترجمة د. أحمد عبد القادر الشاذلي، الدار المصرية للكتاب ط١ القاهرة، ١٩٨٨م.

* ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ـ٨٠٨هـ).

٨- العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م.

* ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ـ٦٨١هـ).

٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

*ابن الساعي: علي بن أنجب (ت ـ٦٧٤هـ)

١٠ - تاريخ الخلفاء العباسيين، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٩٣م.

*السمعاني: أبو سعد بن محمد بن منصور (ت ـ٥٦٢هـ).

١١ـ الأنساب، وضع حواشيه : محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١ بيروت ١٩٨٨م.

* السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت ـ ٩١١ هـ)

١٢ـ تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية بيروت ١٩٦٤م.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

* ابن العبري: غريغوريوس أبوالفرج بن هارون(ت ــ٩٨٥هـ).
١٣ - تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق العربية ط١، القاهرة، ٢٠٠١م.
*العروضي السمرقندي: النظانى العروضي السمرقندى (٥٥٠هـ)
١٤ــ جهار مقالة، ترجمة : عبد الوهاب عزام، ويحيي الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ط١، القاهرة ١٩٤٩م.
*عنصر المعالي كيكاوس: اسكندر بن قابوس بن وشمكير بن زيار (٤٦٢هـ)
١٥ــ كتاب النصيحة المعروف باسم (قابوسنامه)، ترجمة، د/ محمد صادق نشأت، د/ أمين عبد المجيد بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١ القاهرة ١٩٥٨م.
*ابن الفقيه الهمذاني (من علماء القرن الثالث الهجري) أبو بكر أحمد بن محمد.
١٦-مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي ط١، بيروت، ١٩٨٨م.
* القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت ــ٦٨١هـ).
١٧ــ آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م.
*القيرواني: أبو إسحاق إبراهيم بن علي (٤٥٣هـ).
١٨ــ زهرالآداب وثمر الألباب، تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت ١٩٧٢م.
* ابن كثير:عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ت ــ ٧٧٤هـ).
١٩ -البداية والنهاية في التاريخ، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة، ١٩٣٢م.
* المسعودي :على بن الحسين بن على المسعودي (ت ــ٣٤٦هـ).
٢٠ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح وتقديم د/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٥م.
*ابن مسكويه: أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ــ٤٢١هـ).
٢١ ــ تجارب الأمم. تحقيق: سيد كسروي، دار الكتب العلمية ط،١بيروت، ٢٠٠٣.
* المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ــ ٣٨٧هـ).
٢٢- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧م.
* النرشخي: أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي(٣٤٨هـ) .
٢٣- تاريخ بخاري : ترجمة : د/ أمين عبد الحميد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي
* ياقوت الحموي: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ــ٦٢٦هـ).
٢٤ــ معجم الأدباء أو "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب". دار الكتب العلمية، ط١ بيروت، ١٩٩١م.
٢٥ ــ معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.
*اليزدادي: عبد الرحمن بن علي (من علماء القرن الخامس الهجري)
٢٦ــ كمال البلاغة (وهو رسائل شمس المعالي قابوس بن وشمكير) المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤١ هـ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثانيا ـ المراجـــــع:

* إبراهيم سلمان الكروي (دكتور)

١ــ البويهيون والخلافة العباسية، دار العروبة للنشر والتوزيع ط،١ بيروت، ١٩٨٢م.

*أحمد أمين

٢ــ ضحى الإسلام (نشأة العلوم في العصر الأول) طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م.

* أحمد السعيد سليمان (دكتور)

٣ــ تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، دار المعارف القاهرة ١٩٦٩م.

*إدوارد براون(مستشرق)

٤ــ تاريخ الأدب في إيران، ترجمة: أمين الشواربي، طبع المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٥م.

*بديع محمد جمعة(دكتور)

٥ــ من روائع الأدب الفارسي، دار النهضة العربية، ط٢ القاهرة ١٩٨٣م.

*حسن إبراهيم حسن (دكتور)

٦ ــ تاريخ الإسلام السياسي، دار الجيل، ط ٨، بيروت ١٩٩٦م.

*حسن أحمد محمود، وأحمد إبراهيم الشريف (دكتور)

٧ ــ العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ط ٣، القاهرة ١٩٧٧م.

*حسن منيمنة (دكتور)

٨ــ تاريخ الدولة البويهية، الدار الجامعية، بيروت ١٩٨٧م.

* رضا زاده شفق(دكتور)

٩ــ تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة محمد موسي هنداوي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٧م.

* شوقي ضيف (دكتور)

١٠- تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات الجزيرة العربية، العراق، إيران)، دار المعارف ط٢، القاهرة، ١٩٨٣م.

* عباس إقبال .

١١ ــ تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجاوية، ترجمة د / محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة، القاهرة ١٩٨٩ م

*عبد الحميد سند الجندي (دكتور)

١٢ــ ابن قتيبة(العالم الناقد الأديب) سلسلة أعلام العرب العدد (٢٢) المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٣م.

*مصطفي الشكعة(دكتور)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٣ــ بديع الزمان الهمذاني، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٥٩م.

*ــ نعمة علي مرسي (دكتور)

١٤ــ دولة آل زيار في طبرستان وجرجان وما جاورهما، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥ م.

ثالثا ـ الرسائل الجامعية:

* الشحات إبراهيم

١- التطور السياسي والحضاري لدولة بني زيار في جرجان وطبرستان، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة المنصورة ١٩٩٣م.

رابعا ـ "

*رشيد ،

، مجلة كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العدد التاسع،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامـــش

(١) في العصر العباسي الأول نشأت الدولة الطاهرية التي أسسها "طاهر ابن الحسين" في خراسان والتي استمرت من (٢٠٥-٢٥٩هـ/ ٨٢٠-٢٧٢م) وفي العصر العباسي الثاني استطاع الفرس تكوين دويلات مستقلة لهم عن الخلافة العباسية حينما شعروا بضعف خلفائها، وهذه الدويلات هي: الدولة الصفارية التي أسسها "يعقوب بن الليث الصفار" واستمرت من (٢٥٤-٢٩٦هـ/ ٨٦٨-٩٠٨م) والدولة السامانية ومؤسسها "نصر بن أحمد السامانى" في ما وراء النهر وقد استمرت من سنة (٢٦١-٢٨٩هـ / ٨٧٤-٩٩٨م) والدولة الساجية وقد أسسها "أبو الساج" في أذربيجان واستمرت من (٢٦٦-٣١٨هـ/ ٨٧٩-٩٣٠م) وكان ظهور هذه الدويلات تعبيراً حقيقياعن القومية الفارسية التي بدأت تطفو على السطح منذ أواخر العصر العباسي الأول. محمد محمد عبد القادر الخطيب: دراسات تحليلية في تاريخ الدويلات الإسلامية ج١ صـ٣٣٩-٣٤٠، مطبعة الجبلاوي ط١، القاهرة ١٩٨٥م.

(٢) طبرستان: بلاد جبلية تمتاز بالحصانة والمنعة على ما هو مشهور من أمرها، وهي بلاد معروفة والعجم يقولون "مازندران" وهي بين الري وقومس وبحر الخزر. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد صـ٤٠٣، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤.

(٣) هو الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد بالمدينة سنة (٢٣٠ هـ/ ٨٤٤ م) من جارية خراسانية. كان يلقبه الزيدية وأهل الدين بـ "الإمام الناصر الكبير"، وفد على طبرستان في عهد الداعي الكبير " الحسن بن زيد " والذي سعي إلي إقامة دولة شيعية في المشرق مستعينا في أول الأمر بعامل نيسابور"محمد بن عبد الله الخجستاني" الذي استولي على جرجان من القائم السامانى، ولكن ما لبث أن انقلب عليه الخجستاني ـ بعد أن أوقع بينهما أصحاب الوشايات ـ وسجنه ونكل به حتى فقد سمعه فلقب بـ " الأطروش ".ولم يلبث أن فرّ "الأطروش" إلي بلاد الديلم مستغلا حالة الفوضى في الدولة السامانية عقب وفاة القائم، وأقام بين قبائل الديلم ثلاثة أعوام يلقنهم مبادئ المذهب الزيدي، و يدعوهم إلي الإسلام، ويبنى لهم المساجد، فأسلم منهم عدد كبير، ودانوا له بالطاعة والولاء بعد أن ضاقوا ذرعا من ظلم العباسيين، وحكامهم من الطاهريين، الذين كانوا يحكمون إقليم خراسان، وبلاد الديلم وسجستان، وكانوا شديدي الظلم والبطش. توفي سنة (٣٠٤ هـ /٩١٧ م). ابن الأثير : الكامل، ج ٦ ص٤٩٥، دار الكتب العلمية ط٣، بيروت، ١٩٨٨م.

(٤) الديلم: تقع بلاد الديلم في المنطقة الواقعة بين طبرستان والجبال وجيلان وبحر الخزر (بحر قزوين)، وهم قبائل فارسية تتكلم اللغة الفارسية بلهجة محلية، وقد اشتهروا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالشجاعة والكرم، ووصفوا بالطيش، والعجلة، وقلة المبالاة، كما غلب عليهم الجهل والحماقة وكثرة التنازع فيما بينهم ، كما اتصفوا ـ أيضا ـ بالقسوة وغلظة الطبع والتأبي علي الانقياد، كما اشتهروا بالجمال حتى قال عنهم المقدسي : " والديلم حسان اللحى والوجوه أيضا ولهم طلل ". وحين كتب المقدسي كتابه في القرن الرابع الهجري (١٠م) كانت بلاد الديلم تعني أقاليم طبرستان وجرجان وقومس. المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٨٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧م. كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٠٧، ترجمة وتعليق: بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٥ م.

(٥) ابن اسفنديار: تاريخ طبرستان، ص ٢٣٣،٢٣٢، ترجمة :أحمد محمد نادي، طبع المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، القاهرة ٢٠٠٢ م.

(٦) ابن الأثير: الكامل: ج ٦ ص٤٩٥ .

(٧) ابن خاوندشاه:روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، ص ٨٨، ٨٩. ترجمة د. أحمد عبد القادر الشاذلي، الدار المصرية للكتاب ط١ القاهرة، ١٩٨٨م.

(٨) ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج ٥ ص٩١، ٩٢، تحقيق. سيد كسروي، دار الكتب العلمية ط١، بيروت ٢٠٠٣.

(٩) رشيد عبد الله الجميلي: الزياريون في جرجان وطبرستان، ص ١٤٩، ١٥٠ – مجلة كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العدد التاسع، بغداد ١٩٨٤ م.

(١٠) جرجان: مدينة كبيرة تقع في جنوب شرق بحر الخزر، ويحدها جنوباً إقليم خراسان، وشرقاً إقليم خوارزم، وغرباً بحر الخزر وإقليم طبرستان وهي بلاد كثيرة الأنهار. المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم صـ٢٨٠ – ٢٨٥.

(١١) همذان: أكبر مدينة بإقليم الجبال، بين طبرستان وأصفهان. ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص ٤١٠.

(١٢) أصفهان: ويقال لها "أصبهان" و"أسبهان"، وهى مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وهى من بلاد الجبل. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٦٩.

(١٣) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤ ص ٤٢٧، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية.

(١٤) ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج ٥ ص ١٧٨. ابن الأثير: الكامل، ج ٧ ص ١٠٨، ١٠٩.

(١٥) ابن مسكويه: التجارب، ج٥ ص ٣٥٢.

(١٦) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ج ٤ ص ٥٦٩ معجم الأدباء أو "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، دار الكتب العلمية، ط١ بيروت، ١٩٩١م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٧) السامانيون: تنسب هذه الدولة إلى أحدي الأسر الفارسية، وقد ظهر أمر هذه الأسرة في عهد الخليفة المأمون حيث نالت حظوة كبيرة عنده، فولاهم بلاد ما وراء النهر، ومن أشهر حكام هذه الأسرة إسماعيل بن أحمد السامانى، "ونوح بن نصر السامانى". وقد ظهر في عهد هذه الأسرة العديد من العلماء الذين خدموا الثقافة الإسلامية. النرشخي: تاريخ بخاري، ص ١١٣ ترجمة د/ أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف ط ٣ القاهرة ١٩٦٥ م

(١٨) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٧ ص ٢٦٤ دائرة المعارف العثمانية، ط١ حيدر أباد ١٣٥٩هـ..

(١٩) الدولة الغزنوية : هي أحدى الدول الإسلامية التي قامت في شرق الدولة الإسلامية، ويرجع ظهور الغزنويين إلي"البتكين" كبير حجاب الأمير " عبد الملك بن نوح السامانى، وكان البتكين أحد الموالى الأتراك الذين اعتمد عليهم السامانيون في ضبط أمور دولتهم، فعلا شأنه وزاد طموحه حتى أصبح مقربا من رجال الدولة، مما أتاح له تبوأ مناصب رفيعة في الدولة. لمزيد من التفاصيل أنظر : محمود عرفة محمود : الدول الإسلامية المستقلة في الشرق وعلاقاتها بالخلافة العباسية، ص ٢٥٣، ٢٥٥، دار الثقافة العربية، القاهرة ٢٠٠٨م.

(٢٠) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٢٥، ٢٢٦، ترجمة: يحيي الخشاب وصادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة ١٩٥٦ م.

(٢١) رشيد الجميلي : الزياريون، ص ١٦٤، ١٦٥.

(٢٢) السلاجقة: يرجع أصل السلاجقة إلى الترك الذين كانوا يقيمون في الصحراء الواسعة التى تمتد من حدود الصين حتى شواطئ بحر قزوين، وقد كثرت هجرتهم إلى المناطق الإسلامية في إيران وقت انهيار الدولة السامانية حيث المراعى الوفيرة، وقد عرف السلاجقة بهذه التسمية نسبة إلى زعيمهم " سلجوق بن دقاق " الذى جمع شملهم ووحدهم تحت زعامته وخضعوا لحكم أبنائه واحفاده من بعده، ومن أشهر ملوكهم" طغرل بك "و"ألب أرسلان" و"ملك شاه".الحسينى: زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، ص٢٣، تحقيق د/ محمد نور الدين، دار اقرأ، ط١، بيروت ١٩٨٥.

(٢٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٨ ص٢٥٠ ــ ٢٥٨.

(٢٤) كان السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥ــ٤٨٥هـ/١٠٧٢ــ١٠٩٢م) ملكا مظفرا مهيبا، استولت جيوشه على كثير من البلاد حتى قيل إنه ملك من الأقاليم ما لم يملكه أحد من السلاطين، فكانت مملكته تشتمل على جميع بلاد ما وراء النهر، وإيران والعراق، وآسيا الصغرى، والجزيرة، والشام ، وكانت جيوشه غادية رائحة بين أرجاء

مملكته الواسعة. الرواندي، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ص ٢٠١-٢٠٢. الحسيني: زبدة التواريخ، ص ص١٤٧- ١٥١.

(٢٥) ابن الفقيه الهمذاني: كتاب البلدان،ص٥٦٤، ٥٦٥. تحقيق، يوسف الهادي، عالم الكتب ط١، بيروت ١٩٩٦ م.

(٢٦) معجم البلدان، ج ٤ ص ١٣ ــ ١٦، دار صادر، بيروت ١٩٧٩م.

(٢٧) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤١٠،٤٠٩ .

(٢٨) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام، ج ١ ص ٢٧٣، دار الجيل، ط ٨، بيروت ١٩٩٦م.

(٢٩) كان إقليم الديلم يخضع في الغالب لسيطرة مجموعة قبائل،وأسر أمراء محليين، كانوا يترأسونهم وكانوا يتمتعون باستقلال كبير،لذلك لعبت الاتجاهات الشعوبية دورا كبيرا في استقلال بعض الأمراء المتغلبين بولاياتهم عن الخلافة العباسية. فمنذ قيام الدولة العباسية واعتماد خلفائها على العناصر الفارسية بصورة كبيرة، أقصيت العناصر العربية بصورة تدريجية عن الوظائف ولاسيما العسكرية، وتبعا لذلك بدأت النزعات القومية الفارسية تطفو على مسرح التاريخ نازعة إلي الاستقلال على النفوذ العباسي، بدعوى أن كل المسلمين أخوة، ثم ما لبث أن تحولت إلي المناداة بأن العرب أقل شأنا من غيرهم فظهرت الشعوبية بوجهها القبيح منادية بعودة دولة العجم، وتكوين كيانات سياسية فارسية. إبراهيم سلمان الكروي: البويهيون والخلافة العباسية، ص ٤٦، ٤٧.

Archive
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣٠) ياقوت: معجم البلدان، ج ٤ ص ١٥.

(٣١) تاريخ طبرستان: ص٨٩، ٩٠.

(٣٢) يتيمة الدهر: ج ٤ ص ٧٣.

(٣٣) ابن اسفنديار: تاريخ طبرستان، ص١٣١ــ ١٣٩.

(٣٤) معجم البلدان: ج ٣ ص ٧٤.

(٣٥) ياقوت: معجم البلدان، ج ٣ ص ٧٥.

(٣٦) لمزيد من التفاصيل عن الحضارة الإسلامية في القرنيين الرابع والخامس الهجريين، انظر، كتاب "دولة آل زيار في طبرستان وجرجان وما جاورهما" لنعمة علي مرسي.

(٣٧) الشحات إبراهيم السيد: التطور السياسي والحضاري لدولة بني زيار في جرجان وطبرستان، ص١٦٥، رسالة ماجستير(غير منشورة) قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنصورة ١٩٩٣م.

(٣٨) نعمة علي مرسي: مرجع سبق ذكره، ص ١١٥.

(٣٩) الثعالبي: هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، كان أديبا فاضلا صنف كتبا كثيرة، منها : "يتيمة الدهر" و"سحر البلاغة" وكتاب "فرائض القلائد" وإلى

غير ذلك من الكتب. القيروانى: زهر الآداب،ج ١ ص ١٦٩. ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ج١٢ ص ٤٤.

(٤٠) الثعالبى: يتيمة الدهر، ج ٤ ص ٦٧.

(٤١) السابق: ج ٤ ص ٦٨.

(٤٢) الشحات إبراهيم: التطور السياسي، ص ١٦٧.

(٤٣) أبو الريحان البيروني:هو الأستاذ أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونـــى الخـــوارزمى، مؤلف شهير وكان "البيرونى" ذا حظوة عند الملوك والأمراء ملما بعدد كبير من الفروع العلمية كالرياضيات والفلك وعلوم النجوم، ولم يكن في نظرائه في زمانه أحذق منه بعلم الفلك. ياقوت: معجم الأدباء، ج٥ ص ١٢٢.ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج١ ص ١٩٧.

(٤٤) معجم الأدباء: ج ٥ ص ١٢٤.

(٤٥) السابق: ج٥ ص ١٢٥.

(٤٦) بديع الزمان الهمذانى: هو أحمد بن الحسين بن يحيي بن سعيد الهمذانى المعروف ببديع الزمان، صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة، وعلى منواله نسج الحر يرى مقاماته واحتذى حذوه، وهو أحد الفصحاء وله الرسائل البديعة، والنظم المليح، سكن "هراة" من بلاد خراسان، وتوفي سنة (٣٩٨هـ/١٠٠٧م). الثعالبى: يتيمة الدهر، ج١ ص ١٣٩. ياقوت: معجم الأدباء، ج ٤ ص ٢٨٧. شوقي ضيف : تـــاريخ الأدب العربـــي، ج٥ ص ٣٤١.

(٤٧) القيروانى: زهر الآداب وثمر الألباب، ج٢ ص ٤١٧، تحقيق: محمد محيي الدين عبـــد الحميد، دار الجيل، ط ٤، بيروت ١٩٧٢ م..

(٤٨) العروضي السمرقندي: جهار مقالة، ص ١٤٦،، ترجمة : عبد الوهاب عـــزام، ويحيـــي الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ط١، القاهرة ١٩٤٩م.

(٤٩) اليزدادي: كمال البلاغة (وهو رسائل شمس المعالي قابوس بن وشمكير) ص٦٧ ومـــا بعدها، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤١ هـــ.

(٥٠) حسن منيمنة: تاريخ الدولة البويهية، ص ٨٣، الدار الجامعية، بيروت ١٩٨٧م.

(٥١) محمد الخطيب: تاريخ الدويلات الإسلامية ج١ صـــ٣٣٩-٣٤٠

(٥٢) مصطفي الشكعة: بديع الزمان الهمذاني، ص١٤-١٥، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٥٩م.

(٥٣) ورثت الحضارة الإسلامية حضارات الفرس والروم والسريان، وورثت معها كل أساليب اللهو في هذه الأمم، إذ تجمعت الأموال، وما تستدعيه من نوافل الـــشهوات والمجـــون، وأصبح لكل ضرب من ضروب اللهو علم خاص يتقنه أربابه وعلماؤه، ويقرب أهله إلي الخلفاء والأمراء، حتى الرقص والغناء يذكر "المسعودي" في مروجه أن الخليفة "المعتمد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

على الله" العباسي قال لبعض من حضر من ندمائه: صف لي الرقص، وأنواعه والصفة المحددة من الرقاص، واذكر لي شمائله، فقال: يا أمير المؤمنين أهل الأقاليم والبلدان مختلفون في رقصهم من أهل خراسان وغيرهم إلي أخر الرواية. والواقع أن الغناء انتشر في العصر العباسي انتشارا عظيما، حتى أصبح حاجة من حاجات المجتمع الضرورية، وأصبح المغنيون والمغنيات في المحال العامة، وفي الشوارع وفي قصور الخلفاء، وفي بيوت الأغنياء، والفقراء على السواء، وملئت الكتب بالحكايات الغناء، حتى إن صاحب الأغاني يذكر لنا أن أحد المغنيين يغنى على الجسر فيجتمع السامعون حوله حتى يخاف من سقوط الجسر بهم، وأن بعضهم كاد أن ينطح الحائط برأسه ؛ من شدة الإعجاب بحسن الغناء. لمزيد من التفاصيل أنظر: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤ ص ٢٤٩، ١٢٥٠ ــ الأصفهاني: الأغاني في أكثر من موضع طوال قنوات الكتاب.

(٥٤) فهمى عبد الرزاق سعد: العامة في بغداد، ص ٢٩.

(٥٥) أبو الفضل بن العميد: هو أبو الفضل محمد بن العميد أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد، والعميد لقب والده،لقب بذلك على عادة أهل خراسان في إجرائه مجرى التعظيم، وكان فيه فضل وأدب، وأما ولده هذا فقد كان وزير ركن الدولة بن بويه الديلمي والد عضد الدولة. وكان متوسعا في علوم الفلسفة والنجوم، وأما الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد في زمانه حتى سمي بالجاحظ الثاني. قال عنه الثعالبي:" بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد توفي سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م). الثعالبى: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج ٣ ص ١٨٣، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية ط١ بيروت ١٩٨٣ــ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، ج ٥ ص ١٠٣ تحقيق د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م..

(٥٦) ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج ٥ ص ٢٣٢.

(٥٧) نعمة علي مرسي: دولة آل زيار في طبرستان وجرجان وما جاورهما، ص ١١٧، دارا لهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٥ م.

(٥٨) نعمة علي مرسي: مرجع سبق ذكره، ص١١٨.

(٥٩) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجاوية، ص٥٦، ترجمة د / محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة، القاهرة ١٩٨٩م.

(٦٠) عنصر المعالي كيكاوس: كتاب النصيحة المعروف باسم (قابوسنامه)، ص٤٧، ترجمة، د/ محمد صادق نشأت، ود/ أمين عبد المجيد بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١ القاهرة ١٩٥٨ م

(٦١) بديع محمد جمعة: من روائع الأدب الفارسي، ص ٧٤، دار النهضة العربية، ط٢ القاهرة ١٩٨٣م.
(٦٢) إدوارد براون: تاريخ الأدب في إيران، ج ٢ ص ٣٤٦، ترجمة: أمين الشواربي، طبع المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٥ م.
(٦٣) بديع محمد جمعة: من روائع الأدب الفارسي، ص ٧٥.
(٦٤) بديع محمد جمعة: المرجع السابق، ص ٧٥، ٧٦.
(٦٥) رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ص ٧٤.ترجمة محمد وموسى هنداوي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٧م.
(٦٦) القائم بأمر الله: أبو جعفر عبد الله بن القادر العباسي ولد عام (٣٩١هـ/ ١٠٠٠م) وأمه أم ولد اسمها بدر الدجى وقيل قطر الندى ولي الخلافة بعد موت أبيه القادر عام (٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م) وكان ولي عهده في حياته. ابن دحية: النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس. ص١٣٦. تحقيق عباس العزاوي، بغداد. ١٩٤٦م. السيوطي: تاريخ الخلفاء. ص٤٦٦ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية بيروت ١٩٦٤م.
(٦٧) عنصر المعالي: قابوسنامة، ص٩٢.
(٦٨) بديع محمد جمعة: من روائع الأدب الفارسي، ص ٧٥.
(٦٩) عنصر المعالي: قابوسنامه، ص ٤٧.
(٧٠) عبد الحميد سند الجندي: ابن قتيبة(العالم الناقد الأديب) ص ١٨٨، ١٨٩سلسلة أعلام العرب العدد (٢٢) المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٣م.
(٧١) عنصر المعالي: قابوسنامه، ص ٤٧.
(٧٢) بديع محمد جمعة: من روائع الأدب الفارسي، ص ٧٦.
(٧٣) رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ص ٧٥.
(٧٤) عنصر المعالي: قابوسنامه، ص٩٢.
(٧٥) بديع محمد جمعة: من روائع الأدب الفارسي، ص ٧٥، ٧٦.
(٧٦) عنصر المعالي: قابوسنامه، ص٥٨، ٥٩.
(٧٧) لمزيد من التفاصيل انظر كتاب "قابوسنامه" صفحات متعددة طوال فصول الكتاب.
(٧٨) إدوارد براون: تاريخ الأدب في إيران، ج ٢ ص ٣٥٣.
(٧٩) عنصر المعالي: قابوسنامه، ص ٣٨.
(٨٠) السابق: ص ١٥٦، ١٥٧.
(٨١) إدوارد براون: تاريخ الأدب في إيران، ج ٢ ص ٣٤٧، ٣٤٨.
(٨٢) عنصر المعالي: قابوسنامه، ص ٤٨، ٤٩.
(٨٣) عنصر المعالي: قابوسنامه، ص ٨٥.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٨٤) عنصر المعالى: قابوسنامه، ص ٨٧.
(٨٥) بديع محمد جمعة: من روائع الأدب الفارسي، ص ٧٦.
(٨٦) إدوارد براون: تاريخ الأدب في إيران، ج ٢ ص ٣٤٦.
(٨٧) لم يكن الأمير"عنصر المعالى" أول من نحا هذا النحو من التأليف، بل كان مقلدا إلى حد كبير لكتب الحكم والنصائح الفارسية القديمة، والتى كان يتداولها العلماء ويتأدب بها الناس مثل : كتاب "كليلة ودمنة" الذى ترجمه "ابن المقفع" من اللغة الفارسية القديمة، والذى كان قد نقل بدوره من اللغة الهندية، وحذا حذوه كثير من المؤلفين، وعرفت العربية فى ضوئه القصص على ألسنة الحيوان والطير، ووضع الأمثال والحكم والعظات على أفواهها، وبخاصة فى عصور الاستبداد وتكميم الأفواه وتحريم النقد، وكان الملوك يجعلون تلك الكتب دستورا لهم في حكم الرعية ونشر العدل، كما يوجد في نصائح "الحسن البصري" الفارسي، و"ابن قتيبة" في عيون الأخبار، و"الطرطوشي" في سراج الملوك، حتى إن "ابن عبد ربه" عقد فصلا في كتابه "العقد الفريد" تحث فيه عن أمثال "أكثم بن صيفي" و"بزرجمهر" مثال: "إذا اشتبه عليك أمران، فم تدر في أيهما الصواب، فانظر أقربهما إلى هواك فاجتنبه" وقوله: "احذروا صولة الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع" وغير ذلك من الأمثال التى نرى منها كثيرا في كتب الحكم والأخلاق. أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ١٨١، ١٨٢.
(٨٨) حظى كتاب "قابوسنامه" بشهرة عريضة بين قراء العربية، سواء من الأدباء أو من العامة، ونتيجة لما حظي به من اهتمام فقد ترجم إلى عدة لغات أجنبية، منها: الفرنسية، الإنجليزية والروسية، وترجم ثلاث مرات إلى اللغة التركية، ثم ترجم إلى اللغة العربية في عام ١٩٥٢، وذلك بفضل الدكتور أمين عبد المجيد بدوي.
(٨٩) إدوارد براون: تاريخ الأدب العربي في إيران : ج٢ ص ٣٤٨.
(٩٠) كان "ابن المقفع" على مقربة من الحياة الاجتماعية في الدولة العباسية، لاسيما في العصر الخليفة "أبى جعفر المنصور" الذى كان شديد البطش، فألف كتابا في النصائح، أسماه "رسالة الصحابة" وهو لا يقصد به صحابة رسول الله، وإنما صحابة الولاة والخلفاء، والذى وجه فيه نقده للخليفة وبطانته بشيء من النصح والإرشاد. أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٢ص ٢٣٧.
(٩١) جاء في الأدبيات الفارسية القديمة أن الملك "دبشليم" لما تجبر وطغى، وكان يغزو من حوله من الملوك والأمراء، وصار مؤيدا مظفرا منصورا، هابته الرعية، ولما رأى ما هو عليه من الملك والسطوة، عبث بالرعية، واستصغر أمرهم، وأساء السيرة فيهم، وكان في زمانه رجل فيلسوف يدعى "بيدبا"، فلما رأى الملك وما هو عليه من ظلم للرعية، فكر في وجه الحيلة حتى يصرفه عن فعله، ورده إلى العدل والإنصاف، فكتب كتابا وجهه للملك مزج نقده له بكثير من المدح، بينما نسب أغلب الشدة التى يراها إلى غيره، ومن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هنا ظهر ما يعرف في التاريخ بكتب النصائح، التى كان "ابن المقفع" رائدا من روادهـا. أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٢ ص ٢٣٦، ٢٣٧.

(٩٢) تاريخ الأدب العربي في إيران: ج٢ ص ٣٤٦.

(٩٣) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتـى نهايـة الدولـة القاجاوية، ص٥٦، ترجمة د / محمد علاء الـدين منـصور، دار الثقافـة، القـاهرة ١٩٨٩م.

(٩٤) إدوارد براون: تاريخ الأدب العربي في إيران، ج٢ ص ٣٤٩.

(٩٥) لمزيد من التفاصيل حول تلك القصة، انظر قابوسنامه، ص ١٦٦، ١٦٧.

(٩٦) إدوارد براون: تاريخ الأدب العربي في إيران، ج٢ ص ٣٤٩.

(٩٧) عنصر المعالى: قابوسنامه، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٩٨) الفردوسي هو أحد شعراء الفرس المشهورين، والتى كانت له ثروة عظيمة أنفقها على نظم الشهنامة بناء على طلب من السلطان "محمود الغزنوي" ، واستغرق تأليفها ما يقرب من ثلاثين عاما، ولكنه أصبح موضع نقمة السلطان، بسبب إسراف الفردوسي في مدح ملوك إيران القدماء. ولما كان السلطان سنيا متحمسا، لذلك أعطاه درهما على كل بيت، بدلا من دينار كما كان وعده، فتألم الشاعر، ونظم أبياتا يهجو بها الـسلطان، فـساءت العلاقات بينهما. بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، صر ١٠٨، ترجمة :حمزة طـاهر، دار المعارف، ط ٥، القاهرة ١٩٨٣ م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٩٩) إدوارد براون: المرجع السابق، ج٢ ص ٩٣.

(١٠٠) عنصر المعالى: قابوسنامه، ص ٢٠٢.

(١٠١) الأدب في إيران: ص ٩٤.

(١٠٢) إدوارد براون: المرجع السابق، ج٢ ص ٣٤٨.

(١٠٣) عنصر المعالى: قابوسنامه، ص ٨٦.

(١٠٤) السابق: ص ٤٨.

(١٠٥) بديع محمد جمعة: من روائع الأدب الفارسي، ص ٧٦.

(١٠٦) عنصر المعالى: قابوسنامه، ص ٤٧.

(١٠٧) تاريخ طيفور: تاريخ بغداد، ص١٥٧. عبد الحميد سند الجندى: ابن قتيبة، ص ٢٦.

(١٠٨) سورة الأنعام: آية (١٥٢)

(١٠٩) سورة المائدة: آية (١)

(١١٠) سورة النحل: آية (٩٠)

(١١١) عنصر المعالى: قابوسنامه، ص ٣٩.

(١١٢) عبد الحميد سند الجندى: ابن قتيبة، ص ١٠٣.

(١١٣) براون: الأدب في إيران، ص ٣٥٥.

(١١٤) عنصر المعالى: قابوسنامه، ص ٣٤، ٣٥.
(١١٥) السابق: ص ٣٨.
(١١٦) قابوسنامه: ص ٥٠.
(١١٧) عنصر المعالى: قابوسنامة، ص ٩٢.
(١١٨) عنصر المعالى: قابوسنامة، ص ١٢٣.
(١١٩) السابق: ص١٦٣، ١٦٤.
(١٢٠) السابق: ص٩٦،٩٥.
(١٢١) عنصر المعالى: قابوسنامة، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٥.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com